منهج العقاد
في
تراجمه الغيرية

دكتور
أحمد محمود حسن ويفي
مدرس الادب والنقد بالكلية

المقدمة

الحمد لله على جميل نعمه وجزيل فضله، له الحمد فى الأولى والآخرة وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على قائد الإنسانية ورائدها سيدنا محمد بن عبد الله خير من نطق بالضاد، فتهاوت أمام بلاغته هامات الفصحاء، وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم.

وبعد

فهذا البحث فى التراجم الغيرية التي كتبها المؤلف لغيره، ومثل هذا البحث لا يحتاج إلى تقديم أو مقدمات لأنه يطرق موضوعه مباشرة ولا يحتاج إلى شرح يمهد به المؤلف للفكرة التي يقدمها لقرائه إلا أن يفصح عن سر اهتمامه بهذا البحث والأفكار التي راودته والتي يعنيها فى بحثه هذا.

ولعل الهواية هي التي حملتني أولا على هذا البحث، الهواية التى تشدني دائما إلى تلك النوعية من البحث، ولكن الهواية وحدها لا تصبح حافزا على الكتابة ما لم تصحبها تلك الرغبة الملحة التى تحمل الباحث أو الكاتب على الاتصال بغيره من الباحثين فى ميدانه أو بجمهرة القراء ممن تعنيهم أمثال هذه البحوث أو يشاركون الباحث هوايته لها.

ولقد حملتني تلك الرغبة على كتابة هذا البحث ودفعه إلى المتخصصين والقراء أن توافر لدينا النتاج الكبير الذى يسمح بالبحث والتنقيب والتحليل والتعليل ،وبيان المساوئ والمزايا بعد أن كنا فى الماضي نشق طريقنا بجهد وتوتر فى ميدان تلك النوعية من البحوث التاريخية، وما كان منها متصلا بفلسفة التاريخ أو التاريخ كعلم له أصوله وطرائقه ومناهجه، وكنا قبل نعيش فيها عالة على الغرب، وحتى فى هذا كنا نكتفي بالقشور ولا ننفذ إلى اللب فتبدو الفكرة غائمة فى أذهاننا، وتحملنا بعيدا عن جوهر الحقيقة التاريخية فجّا سقيما منحرفا، فإذا تجنبنا تلك

المسالك الوعرة فى ميادين الفلسفة التاريخية أو مناهج البحث التاريخي الحديثة كانت روايتنا للتاريخ سردا مملا لأحداث ماضية لا تبين فيها حكمة التاريخ أو القصد من دراسته، وكانت التراجم والسير بالمثل عملا تقريرا يعتمد على ذكر الحوادث والأحداث دون تحليل أو استقصاء أو تشريح.

وقد اقتضت ظروف البحث أن يبدأ بمقدمة أذكر فيها الدوافع والأسباب التي جعلتني أتخذ هذا الموضوع ميدانا لبحثي، وقد قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث،

المبحث الأول: فى الحديث عن الترجمة، مفهومها وتطورها، وتغيرها عن السرد والنقل والتقرير والوعظ، إلى العناية بصاحب الترجمة.

المبحث الثانى: العقاد . الرؤى والتوجهات، فى الحديث عن إسهامات العقاد المتعددة بين فنون الأدب والقول بموسوعية بين الكتابة والفكر، فى جمع بين الثقافتين العربية والأجنبية.

المبحث الثالث: منهج العقاد فى تراجمه الغيرية. فقصرت هذا البحث على التراجم الغيرية على الرغم مما للعقاد من تراجم ذاتية؟

ولذا حددنا هذا المنهج فى نقاط نجدها ممثلة فى الآتي:

١) الإشارة فى إيجاز إلى سر تأليف الترجمة.

٢) الإشارة فى إيجاز إلى المحيط الذي تعمل فيه الشخصية.

٣) الإشارة إلى تفوق صاحب الترجمة.

٤) نعت الشخصية ببعض مفردات تضع مفتاحها فى يد القارىء.

٥) إبراز العبقرية فى بعض الجوانب المختلفة التي كانت عليها الشخصية.

٦) الدفاع عن الشخصية حين يضعها فى ميزان النقد أمام طعون الطاعنين.

٧) يعمد إلى مقارنة صاحب الترجمة بغيره فى مجال إبراز مواهبه.

٨) وضوح منهج الاستقراء، والتأمل فيما وراء الحدث، ليدعو إلى تحريك العقل.

٩) وضوح المنهج النفسي أحيانا والاعتماد على تحليلاته لتجلية كثير من الأمور.

١٠) موقف شخصية الترجمة من الجو الثقافي.

١١) في النهاية يضع العقاد شخصية صاحب الترجمة فى الميزان، ليبرز ما قام به ويرشد إلى عظمته غير المنكورة فى التاريخ.

ثم **الخاتمة** ، وفيها إجمال لأهم الآراء التى ظفر بها البحث.

ثم جاء ثبت للمراجع والمصادر.

هذا .. والحمد لله على ما وفق وأعان، وأسأله -بفضله - القبول وبلوغ المأمول.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباحث

أحمد محمود حسن ويفي

مدرس الأدب والنقد

المبحث الأول
فن الترجمة مفهوم وتطور

الترجمة فن التعبير عن الذات والغير، وقد تطورت وارتفعت من طور السرد وتسجيل الأحداث التاريخية إلى العناية بالمؤثرات والبواعث وتفسير الحوادث الناجمة عن سير الشخصيات تفسيرا نفسيا.

وفن الترجمة عريق عند العرب عراقة ما وصلنا من تراجم، سواء كانت ذاتية أو غيرية، وقد حوت هذه التراجم أنواعا دون نوع بل جاءت عامة لكل الطبقات فشملت الفقهاء، والمحدثين، والشعراء، والأدباء، والنحاة، واللغويين، والأمراء.

" وقد عني العرب بهذا الفن وتوافروا على دراسته حتى أنهم تعدوا الترجمات الشخصية إلى الترجمة لتاريخ بعض البلدان الإسلامية"[1].

والذى تعاب به هذه الترجمات الأولية هو ما يعاب به كل فن عند نشأته حيث تعتريه هنات وتشوبه شوائب، وما قد يؤخذ على تلك الترجمات اعتناؤها بالنقل والسرد وذكر الآثار وخلوها من النقد والتحليل والتعليل.

وحين أهلّ العصر الحديث اختلفت حالة التراجم؛ لأن كتاب التراجم لم يقفوا أمام الموروث وقفة المتعبد المعتز بالحديث عن مناقب ومفاخر وتراث الآباء والأجداد السابقة فارتفعوا بالتراجم عن السرد، وذكر الأخبار والآثار إلى الاهتمام بذكر العوامل النفسية التى تعترى بطل الترجمة، وكذلك الحديث عن ظروف بيئته الاجتماعية السائدة إبان نشأته والمؤثرات فى توجهاته الشخصية، وقد يكون ذلك نتيجة لتأثر " كتاب العربية بطرائق الغربيين ومذاهبهم فى التحليل، وتجلية العوامل النفسية والبيئية، ودراسة عصر المترجم له دراسة تتجلى فيها مدى الاستجابة بين الرجل وظروف زمانه، ومعارضة الروايات بعضها ببعض حتى يبدو الحق على

(1) التراجم والسير- محمد عبد الغنى حسن- ط دار المعارف- ط(٣) ١٩٨٠م- صـ٦.

وجهه، ورعاية الفنية الأدبية فى العرض، على ألا يكون ذلك على حساب الحقيقة التاريخية أو الدقة فى الصورة"[1].

ومن الناس من يدرج السير والتراجم فى باب الأدب؛ لأننا لا ننكر علاقة الأدب بالتاريخ، ولا علاقة التاريخ بالسير والتراجم، فإذا كان لنا أن نقول: إن الأدب صورة النفس الإنسانية فى صراعها مع الحياة؛ فإن التاريخ هو صورة الحياة الإنسانية على الأرض، ذلك أن التاريخ لا يستطيع أن ينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية إلا من خلال الأحداث والوقائع التى تثبتها الوثائق والمدونات، والمؤرخ لا يستطيع فى ميدان الحقيقة أن يحكم عليها ولا يجزم بالنتائج ما لم تكن حقيقة تسندها الرواية ويدعمها الدليل القاطع بصحتها.

فالتاريخ هو الحقيقة الثابتة المروية، وهى حقيقة ثابتة لأن كل الأسانيد التي يعتمد عليها المؤرخ فى بحثه تثبتها وتؤيدها، وقد يحتاج التاريخ فى تدوينه أو روايته إلى الخيال، ولكنه خيال لا يتعدى الأسلوب الإنشائي للرواية التاريخية هذا الخيال القادر إنما تتجلى قدرته فى بعث الحياة إلى تلك الوثائق والمدونات الجافة الذابلة، واستخلاص الحقيقة من خلال القليل المتناثر من الروايات والآثار التي سلمت من البلى والدمار.

ولكن خيال (المؤرخ) غير خيال (الأديب) الذي يسبح في أجواء سامقة من صنع نفسه أو إلهام ذاته، غير عابئ بالحقيقة المجردة إلا بمقدار ما يلهمه الخيال من صورة النفس أو إلهام ذاته، غير عابئ بالحقيقة المجردة إلا بمقدار ما يلهمه الخيال من صورة النفس فى نزعاتها، فخيال (المؤرخ) أقرب إلى التصور، تصور ما كان على ضوء ما يعرفه عنها، أما خيال (الأديب) فخلق وإبداع، فمهما اقترب الأديب من صورة الحقيقة أو الواقعية؛ فإن واقعيته لا تعدو تصويرا للحياة فى

(1) التراجم والسير ص٧ .

الصورة التى يرتجيها أو الصورة التى هى عليها، وإن اتفق مع المؤرخ فى أنه ينشد الكمال الإنسانى، إلا أن الكمال فى عرف المؤرخ يتمثل فيما يمكن أن يفيده جيل من تجربة جيل سابق، أما فى عرف الأديب فهو الصورة المثالية التى يتمثل فيها عالما إنسانيا ينشد الخير والجمال.

وفى كتابتنا للسيرة علينا أن نستهدف تلك الحقائق؛ فالسيرة قصة إنسانية ،وهى امتداد لحياة عظيم فى زمان ومكان معينين، ووراءها تكمن عبقرية مواتية، ومواهب تضفى على المواقف التاريخ طابعا معينا.

والتراجم كالتاريخ لا تتكرر ولا تعيد نفسها أبدا، وإن تشابهت بعض السير كما تتشابه بعض المواقف التاريخية إلا أنها لا يمكن أن تتكرر بنفس السمت والأسلوب؛ بل إنها لتفوق التاريخ فى هذا، وبقدر ما تختلف أشكال الإنسان وصوره بقدر ما تختلف السير أو الترجمة حتى وإن عملت فى ميدان واحد من ميادين الحياة وفى زمان ومكان واحدين.

وفى كتابة السير يجب أن تنم عن صاحبها تماما كما ينم الحدث التاريخي عن الموقف الذى يلابسه، وإلا جاءت باهتة لا ترى بينها وبين غيرها اختلافا أو تمايزا، وفيها نبحث عن السمات المميزة لصاحبها فى ميدان التفوق والبروز والتى تطغى على ما عداها من السمات الأخرى، وهى تلك السمات التى تكوّن شخصيته التاريخية، وتفرد له مكانا معينا بين أقرانه فى التاريخ.

وقد يدعى البعض بأن مؤرخ السيرة يجب أن يتفاعل مع أبطال سيره وأن يقترب منهم اقترابا شديدا، ولن يقترب منهم ما لم تكن ثقافته ممثلة للناحية التى برزوا فيها، فلن يكتب سيرة (شوقى) غير أديب أو شاعر بحث تلك الروعة التى يضوع بها شعره، ولن يكتب عن (نابليون) غير كاتب يلم بفنون الحرب وأساليب القتال والسياسة، ولن يكتب عن سيرة (هيمنجواى) أو (توفيق الحكيم) غير ناقد

قاص.

ونقول لهؤلاء إنه من الخطأ أن نقيم تلك الحواجز الصلدة بين كتاب التاريخ؛ فقد اعتدنا أن ندرج مؤرخي الأدب بين الأدباء، ومؤرخي المعارك بين العسكريين، ومؤرخي الفن بين الفنانين، وهم فى نظر الواقع التاريخي مؤرخون يبحثون فى ماضي الإنسان وتاريخه.

ومصدر الخطأ فى هذا أننا لا نعد التاريخ إلا التاريخ السياسي، ولكن التاريخ بمعناه هو تاريخ الإنسان، والإنسان الذى يعيش فى مجتمع ويتفاعل معه، ويتأثر به ويؤثر فيه فى شتى مجالات نشاطه من سياسة، وأدب، وعلم، وفن، وحرب، واقتصاد وغيرها.

وكلما كان يطل السيرة أقرب إلى مزاج المؤرخ، والى ميدان بحوثه تجلت قدرة المؤرخ فى إبراز سيرته وتصويرها، وكلما اتسع أفق المؤرخ واتسعت آفاق معرفته كلما أقدر على كتابة العديد من ألوان السير.

وعلى كاتب السيرة أو الترجمة أن يحدد فى سيرته الحافز أو الموهبة فى حياة صاحب الترجمة أو السيرة والتى مكنته من أن يتبوء ما وصل إليه من مكانة جعلته محط الأنظار وموضع الدراسة والبحث، ففيه القدوة التي تتمثل والموهبة التي ينبغى الاحتذاء بها والسير على دربها.

وعليه أن يبحث عن العوامل التى كونت هذا الحافز فيعود بالسيرة إلى الإطار الذي نشأت فيه؛ فحياة الإنسان كغيره من مخلوقات الله-ﷻ- تتحدد بزمن معين، وفى هذا الزمان المحدد، وفى تلك البيئة المعينة يثمر الحافز فى حياة الفرد عملا تاريخيا، ويلج به رحاب التاريخ، وقد لا يثمر ذلك الحافز مثل ذلك العمل فى زمن آخر أو فى بيئة أخرى؛ فإذا اقتصرت أعمال الشخص التاريخية على فترة معينة من امتداد عمره فإننا فى حاجة إلى دراسة الحوافر التى أدت به إلى القيام بدوره

التاريخي فى الفترة السابقة من عمره على تلك الفترة التى قام فيها بهذا الدور التاريخي فتمدنا نشأته الأولى بذخيرة لا تنضب من الأحداث التى تعيننا على التحليل والاستقراء بحيث نستطيع أن نصل إلى تعليل واضح للدور التاريخي الذي قام به.

وقد نعرض فى السيرة أو الترجمة لكثير من الأعمال العابرة أو المتواترة فى حياة البطل ولكننا لا نتناولها لذاتها، ولكن لما تعكسه من صورة البطل وخلاله التى تؤثر فى حوافزه أو تكشف عن لمحات من مواهبه الفذة التي ميزته على غيره، وعلى الكاتب أن يعرض لأهم أعمال البطل، وهذا العمل هو المحور الكبير الذي يدور حوله، وكل ما عداه من جوانب السيرة الأخرى كالنشأة والتربية والحياة العامة التى يحياها صاحب السيرة ما هى إلا منافذ ينفذ منها كاتب السيرة إلى الحافز الذى قاد صاحبه إلى العمل التاريخي، وما لم يصل كاتب السيرة إلى هذا الحافز ويتقصى أسبابه وعوامله كانت روايته قصة باهته لا نبض فيها ولا حياة؛ فهي سرد لحياة تبدو عادية إذا جردناها من هذا العمل الكبير الذى يشد التاريخ إلى صاحبه، وإذا قص كاتب السيرة خبر هذا العمل مجردا من الحافز الذى دفع إليه فكأنه قد جرد الجسم من روحه، فالبحث عن الحافز فى حياة صاحب السيرة هو مطلب كاتب السيرة حتى يستطيع أن يجلو تلك السيرة على حقيقتها ويعرضها سافرة واضحة القسمات أمام التاريخ.

ومن أجل ذلك ولتلك الأسباب نرى أن السيرة ما زالت تحتل مكانا مرموقا تبوأته منذ القدم فى رحاب التاريخ فهي أشهى كتب التاريخ إلى نفس القارىء؛ ذلك أن الإنسان ينشد دائما معرفة ذاته أو أنه يسعى إلى معرفة الكمال أو النقص فى غيره مقرونا إلى ذاته، وكأنه يريد أن يطمئن إلى نفسه بما يراه من صور غيره، وكما تكثر المرأة من النظر إلى مرآتها حتى تطمئن إلى جمالها أو تلمح فى صورتها ما يميزها على غيرها من النساء، نرى الإنسان يقرأ السيرة وكأنه يرى فيها صورته أو

صورة ما ينشده، وقد تغرقه فى خيال كاذب من البطولة والعظمة حين يصور نفسه على صورة البطل، وهو أسوأ ما تؤثر به السيرة فى قارئها، وخاصة إذا أغرق كاتب السيرة فى تمجيد الشخوص.

لذا بقيت السيرة وستبقى أشهى ألوان التاريخ إلى نفس القارىء والكاتب على حد سواء.

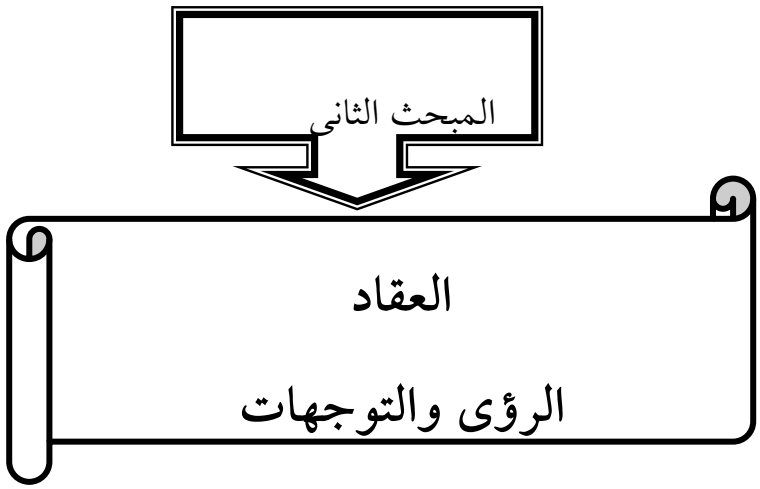
المبحث الثاني
العقاد
الرؤى والتوجهات

تعددت إسهامات العقاد، بين فنون الأدب والقول، وتعددا ندر أن وجدنا له مثيلا له فى الحياة الأدبية، وهو إلى جانب هذا التعدد العام يحيرك حين تقصر الحديث عنه فى مجال خاص محدد، وهو الدراسات الأدبية والنقدية، نظرا لتنوع عطائه الثقافي تنوعا محيرا فى حياته وبعد رحيله!!

فهو أديب تتنوع معالم تفكيره؛ فيخوض بأحاديثه فى مجالات شتى، ويعرض الكثير من الآراء والأفكار سواء كانت عربية أو أجنبية، وفى كل الفروع والمعارف.

والعقاد رجل موسوعي؛ لأنه كاتب ومفكر، يواجه قارئه بعقله، ويعرض عليه الكثير من الآراء والنظرات فى التاريخ، والفلسفة، والنقد دون أن يدل على ذاته أو يتحدث عن نفسه.

وتلك داعية من داوعى الكناية، وهى مهمة ملقاة على كاهل الكاتب الذى ربما جعل ليله كنهاره، وأحنى ظهره، وأدمى يديه فى تسوية الأرض وإزاحة الجلاميد لتصل الفكرة إلى القارىء سهلة ميسرة، لم ينله من العناء ووجع الرأس وهموم القلب ما نال كاتبها، وهذه مهمة الكاتب فى تعبيد طريق الثقافة وتوصيلها لبنا سائغا للشاربين، وسبيل الكاتب وطريقه الذي يختاره إلى الوصول لغرضه ،وما رام من وراء عمله أن يوضح الغامض ويظهر ما خفى منه، ويقرب ما ند وابتعد، ويقدم ما يسمو بالروح والعقل، حتى ترى الكاتب بما تقدم يدفع الناقد إلى التفاعل معه، ويبرز للقارىء أهمية ما يقدم له من عمل، فيتوقف الاثنان- القارىء والناقد- أمام هذا العمل بالتدقيق والتمحيص لكشفه والتعرف على فكرته ومراد كاتبه.

لم يكتسب العقاد مكانته من جاه أو وظيفة إنما اكتسبها بكفاحه المتصل؛ فقد هيأ نفسه لرحلة طويلة، حيث الحنين إلى البيئة العربية القديمة التى تحمل لنا رياحها عاطر النسمات، وشذا الأجداد، وأحلى الذكريات، فحمل أدواته وأزمع

السفر إلى تلك العصور يتعرف أحوالها ،ويلاقي شعراءها ليغوص في أعماق نفوسهم يتعرف الدوافع وأسباب الاتجاهات، ويشير إلى مواضع تفوق المبرزين، وينصف من يراه حقيقا بالإنصاف جديرا به بعد أن أعملته العيون والأقلام على نحو ما فعل مع ابن الرومي.

ثم واصل دورانه وتقلبه فأطل بنظرته وقلمه على العصر الحديث فراح يخط ويسطر عن أعلامه من العرب والأجانب.

والموسوعية تعنى عدم اقتصار الأديب على فرع من فروع الثقافة أو الفن بعينه، وإنما عليه أن يضرب فى كل فرع بسهم وبنصيب وافر، ليس هذا فحسب فقد كان العقاد يجمع فى موسوعيته بين الثقافتين العربية والأجنبية.

فقد جاء نهج العقاد فى العرض والرؤية أن اختص الأدب العربى القديم بالحديث عن الكثير من شعرائه؛ فتحدث عن أبى نواس ونرجسيته وسبب مجونه، وتحدث عن ابن الرومي وشعره، وكان دافعه من وراء ذلك رؤيته لأحقية الشاعر فى تبؤ مكانة غير مكانته، ومنزلة فوق ما أنزل النقاد وأعلى، وتحدث عن عمر بن ربيعة وشعره الماجن، وجميل بثينة شاعر البادية العذري، وعن بشار بن برد فى غزله وهجائه.

وعن تأثر العقاد بالمذهب السياسي:

فقد نشأ العقاد وتربى بين أحضان الطبقة الكادحة مما كان له أثر كبير فى عدم إتمامه دراسته، وما عانى من صعوبات ليقتنى الكتب التي صنعت له قاعدته الثقافية، والأرض الثابتة التى انطلق منها إلى عام التأليف وإبداء الآراء، فلما شب عن الطوق، ورجح عقله، واتضحت شخصيته، واقتحم المجال السياسي كان مذهبه (الاشتراكي) الذى يقوض الجدار بين الطبقات، ويصهر الفرد فى بوتقة الجماعة، ويجعله أساسا أو سلما ترتقى عليه.

واشتراكية العقاد ليست هى اشتراكية الهدم بحيث تجور على مصالح الفرد ورغباته حتى تحقق أحلام الجماعة، وإنما هى الاشتراكية المعتدلة التى توفق بين تقييد الاحتكار والاستقلال، وإطلاق نشاط الفرد رغبة فى استغلال طاقاته وإبراز مواهبه سبيلا إلى التقدم والتنمية.

وقد عبر العقاد عن مذهبه الاشتراكي المعتدل المتوازن بين المطالب الفردية والمطالب الجماعية فى مثل قوله[1]:

لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها ∴ إذا الفقير طلاب القوت أعياه

أيرزح القوت فى أرض بطالبه ∴ ويبلغ المجد فيها من توخاه؟

"إن الاشتراكية الصحيحة كما يراها العقاد ليست أسطورة من الأساطير، ولا هي عدو خيالي يبشر الناس بالتعادل فى الأقدار والتشاكل فى الأرزاق والمنازل. كلا فليست المساواة بين الناس من همها، ولكنها إنما تدعو إلى المساواة بين الأجر والعمل وتطلب أن نعطى كل عامل ما يستحقه بعمله، وأن ينتفع المجموع بأكبر ما يمكن الانتفاع به من قوى الأفراد"[2].

ولا تناقض بين اشتراكية العقاد، وصراعه الدائم ومعركته الأبدية مع الفكر اليساري؛ فهو يرى أن الفرد هو الأساس فى تطور التاريخ والمجتمع، وأن العبقرية الفردية هى القوة التى تدفع الحياة إلى الأمام، وهذه الرؤية تقف على النقيض من

(1) ديوان العقاد- المجلد الأول- (يقظة الصباح)- ط٤ دار الكتب العصرية- بيروت- ١٩٧٢م ص٨٠ .

(2) مع العقاد فى ظل العقيدة الوطنية- طاهر الجبلاوى- ط: مكتبة الأنجلو – ١٩٧١م ص٦٢ .

النظرة اليسارية حيث يقيم اليسار وزنا كبيرا للظروف الخارجية المحيطة بالفرد.

ونقول : إنه لا تعارض؛ لأن العقاد إذا كان يؤمن بالنزعة الفردية فليس هو الإيمان بأنانيتها ، وإنما إيمانه بنزعتها المنصهرة، والمؤثرة فى بناء نهضة الكل، وتطور تاريخها، ودفع الحياة إلى الأمام.

معارك العقاد:

من المعروف أن العقاد قد أثرى الحياة الأدبية بمعاركه مع الرواد من أدباء جيله، وهى معارك ذات ملمحين:

الملمح الأول: يكمن فى شخصية العقاد وطبعه "فهو يدمج فى عداد أصحاب المزاج العصبي الحاد؛ فأصغر شيء يهيجه، ولعل ذلك هو الذى جعله يكثر من خصوماته السياسية والأدبية، وكان لا يدخل فيها غالبا إلا إذا استنفره أحد خصومه، غير أنه إذا ما دخل فى خصومة لا ينكص على عبقيه أبدا بل يظل مناضلا صائلا جائلا يدعو، هل من مبارز؟"[1].

الملمح الآخر: يبرز فى إثراء الحياة الأدبية ثراء عظيما؛ فالعقاد لم يفتعل المعارك مع أدباء ضعيفى العزم، واهني الإرادة يلتمس إسكاتهم وإفحامهم بأيسر الآراء وأبسطها ليدل على مكانته ويبرز تفوقه، وإنما كان الطرف الآخر لمعاركه عددا من كبار المفكرين والأدباء ممن لا يستهان بقوتهم، ويملكون من وسائل الرد والتفنيد الآراء ما يجعلهم يتعمقون الإحاطة بالموضوع، ويطرفون فى آرائهم ومذاهبهم.

وقد اشتبك العقاد فى معارك أدبية مع الكثيرين من الفحول والشباب من أدباء عصره، مثال ذلك معاركة مع (الرافعي) و (أحمد شوقى) و(طه حسين) و(محمود أمين العالم) و(أمين الخولي) و(بنت الشاطىء)وغيرهم.

(1) معارك العقاد الأدبية- عامر العقاد- ط المكتبة العصرية- بيروت- فبراير ١٩٧١م ص١٠.

وكما كانت للعقاد معاركه الأدبية كانت له معاركه السياسية التي هاجم فيها خصومه السياسيين بالمنطق والبرهان، فجعلهم يتضاءلون أمام شخصيه فيفرون من ميدان المعركة بعد أن بارت حججهم، وقلم أظافرهم وسنان أقلامهم، وواصل معاركه السياسية وحروبه ضد الفاشية، والهتلرية، والنازية، كما تمثلت فى حربه مع الماركسية الصهونية والشيوعية.

يقول العقاد:

((**لقد حاربت الأقوياء**، وهذا أوعر مسالك الحروب الشعواء فى جميع الميادين، وحاربتُ الشيوعية، والصهوينة، والاستعمار، والتبشير، والمتاجرين بالدين، والمستغلين لدعوى الإسلام، كما حاربت طغيان أصحاب الأموال، وطغيان السياسة من جانب القصر، ومن جانب الأحزاب، ومن كل جانب فى بلادنا والبلاد الخارجية)).[1]

العقاد وفن الترجمة:

ترجم العقاد عن ذاته وحياته فى كتبه (أنا)،و(حياة قلم)،و(في بيتي) تحدث فيهم جميعا عن حياته الشخصية، نشأته وتربيته، آماله وأهدافه وتأثره بأساتذته وبعض أصدقائه.

وقد أتاحت تلك الترجمة الفرصة الواسعة للتعرف على النوازع وتفسير المواهب والملكات والوقوف على الطباع والأخلاق.

وجاء هذا المسلك من العقاد متفقا مع مسلك معاصريه كالمازني، وشكري وطه حسين وهيكل وغيرهم، ممن خلفوا تراجم ذاتية أو صورا شخصية أو مذكرات تحدد النوازع، وتدل على الذات والشخصية.

---

(1) مع العقاد في ظل العقيدة الوطنية – ص١٧.

وقد خلّف العقاد تراثاً كبيراً، وثروة عظيمة من التراجم الغيرية ((فقد ترجم العقاد لطائفة من أعلام العروبة ورجال الإسلام، وقد ابتغى بترجماته لهم أن ينصفهم، وأن يوفيهم حقوقهم من الثناء والإعجاب، كما ابتغي أن يتخذ الشباب منهم المثال والقدوة الحسنة، فيترسموا خطواتهم، ويمضوا على نهجهم، ويزدادوا صلابة فى دينهم،وقوميتهم،وعروبتهم.

وقد جعلته هاتان الغايتان لا يعنى فى أكثر الأمر بسيرة من يترجم لهم،وإنما بتحليل شخصياتهم الإنسانية، وأيضا فإن هاتين الغايتين أدناه إلى أن يعنى بنواحي الكمال فى تلك الشخصيات، ويبرز خطوطه العريضة فى جوانب حياتها المختلفة)) [1].

وعلى هذا فالعقاد فى عبقرياته لا يعنى بالسرد التاريخي، وإنما يرسم صورا تجسد شخصياتهم وتبرز تفوقهم ونبوغهم، وتشير إلى ملكاتهم وأخلاقهم.

وقد جاءت تراجم العقاد مستوحاة من مذهبه الاشتراكي، أو مؤكدة له فهو من المؤمنين بأهمية الفرد وعمق تأثيره فى الجماعة، ولذلك تحدث العقاد وأفرد صفحات تراجمه لشخصيات إسلامية دون أن يتحدث عن مجموع الإسلاميين؛ فعندما أراد أن يكتب عن الإسلام وعبقريته كتب عن (عبقرية محمد)- ﷺ- ولم يكتب عن عبقرية الإسلام ،وعندما أراد أن يكتب عن ثورته كتب عن أبى بكر وعمر وعلي وخالد- ﷺ- دون أن يكتب عن الثورة الإسلامية إجمالا .

"وتكلم العقاد عن سمو الإنسان فى (محمد) الرسول، و(المسيح)، و(أبى بكر الصديق)، و(غاندي)، و(الشيخ محمد عبده)، وعن عبقريته فى (عمر)، وعن شاعريته فى (عمر بن أبى ربيعة)، و(جميل بثينة)، وعن إبداع الإنسان فى

(1) مع العقاد –د/شوقى ضيف- سلسلة (اقرأ) .- ط دار المعارف- ط (الخامسة) ١٩٦٤- ص٨٤- ٨٥.

(شكسبير)، وعن طاقاته الخالقة الفائقة فى (ابن سينا)، و(ابن رشد)، وعن علمه فى (فرانسيس بيكون)، وعن ملكاته القيادية فى (سعد زغلول)، و(محمد على جناح)"[1].

وتتميز تراجم العقاد بسلاسة العرض وروعة الأداء والتعبير وغزارة العلم، والحياد فى عرض الشخصية، والابتعاد عن الأسلوب الوعظي التقريري، وترك المجال واسعا أمام القارىء ليستخلص ما يرمى إليه الكاتب.

وتميزت تراجمه أيضا بالبحث والتنقيب عن النزعات الباطنة، والرغبات الخفية فى سلوك شخصياتهم، وتناول كل ذلك بالتحليل والتعليل، وربطه بتطور مجريات أحداث الشخصية فى مراحلها المختلفة.

وفى النهاية نقول: إن البعض قد ينظر فيما بلغته مكانة العقاد من شأو بعيد ومنزلة سامية فطبقت شهرته الآفاق، وتميز لا بقارئيه من بنى وطنه فقط، وإنما بقارئيه من العرب فى كل أقطارهم، ثم يعن له بعد ذلك أن يسأل، ما الذى جعل شهرة العقاد تملأ الدنيا، وتسري مسرى المياه فى الأنهار والطير فى السماء؟

ونقول :

إذا كان البعض يحلو له أن يحيل تلك الشهرة إلى انخراط العقاد فى سلك (حزب الوفد) الذي بذل جهداً كبيراً فى تحقيق شهرته، وتحويله إلى نجم وزعيم شعبي، حيث كانت الأحزاب تبذل ما فى وسعها لتحقيق الشهرة لكاتبها ليكون مبعث فخر لها، ومن ناحية أخرى تجذب المعجبين بهذا الكاتب للانضمام إلى حزبه ومناصرة آرائه.

---

(1) الجمال والحرية الشخصية الإنسانية فى أدب العقاد- د/نعمان أحمد فؤاد- ط: دار المعارف ١٩٨٣م – ص٤٣ .

وذلك على نحو ما يقول الكاتب (رجاء النقاش) عن شهرة العقاد بانضمامه لحزب الوفد:

((وعن هذا الطريق نال العقاد شهرة عنيفة مدوية، وهى شهرة لم ينلها بكتاباته الرائعة العظيمة فى الأدب، وعندما ترك العقاد الوفد واختلف معه كان قد وصل إلى درجة من الشهرة لم يعد أحد يستطيع أن يطفىء شعلتها)) [1].

فإننا نقول: إن تلك النظرة إلى الأدب والثقافة نظرة قاصرة محدودة تلتمس مع جودة الإنتاج وحسن روعة التعبير عن الذات والعصر عوامل أخرى ثانوية تساعد الأديب على الشهرة ، وتمهد له طريق الذيوع والانتشار، وإلا فماذا كانت تفعل تلك العوامل المساعدة إذا لم يوهب العقاد حظا وافراً، وقسطاً كبيراً من الثقافة والمعرفة؟ هل كانت تلك العوامل تشفع لإنتاجه لدى القارئ حتى ولو كان قارىء حزب الوفد؟

(1) المصور "الكاتب والوسام"- رجاء النقاش- ٢٤ رمضان ١٣٩٧- ٧ سبتمبر ١٩٧٧م- ص ٥٦ .

المبحث الثالث

ترجم العقاد لطائفة من أعلام العروبة والإسلام، وقد ابتغى بترجماته لهم أن ينصفهم، وأن يوفيهم حقوقهم من الثناء والإعجاب، كما ابتغى أن يتخذ الشباب منهم المثال والقدوة الحسنة، فيترسموا خطواتهم، ويمضوا على نهجهم ويزدادوا صلابةً فى دينهم وقوميتهم وعروبتهم، وقد جعلته هاتان الغايتان لا يعنى فى أكثر الأمر بسيرة من يترجم لهم، وإنما يعنى بتحليل شخصياتهم الإنسانية، وأيضا فإن هاتين الغايتين أدتاه إلى أن يعني بنواحي الكمال فى تلك الشخصيات ويبرز خطوطه العريضة فى كل جوانب حياتها المختلفة.

وقد يقول القائل: إنه كان من الأفضل أن تعرف تلك الشخصيات بكل خصائصها وبكل كمالها ونقصها، مسترشدين فى ذلك بدراسات علوم النفس والحياة، ولم تكن هذه الدراسات غائبة عن العقاد، فقد صدر عنها فى دراسته لأبى نواس لأنه رآه فعلا حقلا خصبا لتطبيق تلك الدراسات النفسية عليه نظرا لما عرف عنه من مجون وشذوذ، أما تلك الشخصيات الإسلامية والعربية فقد رآها تتميز بشمائل إنسانية كريمة، فلم يحاول تمزيق ما تتدثر به من تلك الشمائل، وأيضا فإنه لم يحاول أن يصعد بها على طريقة الكماليين من علماء الأخلاق، وبذلك احتفظ للأمة العربية بشخصياتها المثالية، ولم يعبث بها أي عبث، بل لقد سواها فى صورة حية ناطقة.

وعبقريات العقاد ليست سيرا بالمعنى التاريخي المألوف، وإنما هي صور تشخص الملكات والأخلاق، ولذلك قلما احتفل فيها بالأحداث والوقائع، وحتى أرقام السنوات التى ولد فيها أصحاب العبقرية وتوفوا قلما وقف عندها لأنه رآها لا وزن لها فى الصورة التى قصد بها إلى رسم المزايا والخصائص الخلقية والنفسية والإنسانية.

ومن أجل ذلك نراه يقول فى فاتحة كتابه (عبقرية محمد- ﷺ-: (سيرى القارىء أن عبقرية محمد- ﷺ- عنوان يؤدى معناه فى حدوده المقصودة، ولا يتعداها، فليس الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف إلى السيرة العربية والإفرنجية التى حفلت بها المكتبة المحمدية حتى الآن؛ لأننا لم نقصد وقائع السيرة لذاتها فى هذه الصفحات على اعتقادنا أن المجال متسع لعشرات من الأسفار فى هذا الموضوع ثم لا يقال إنه استنفد كل الاستنفاد.

وليس الكتاب شرحا للإسلام أو لبعض أحكامه أو دفاعا عنه أو مجادلة لخصومه؛ فهذه أغراض مستوفاة فى مواطن شتى يكتب فيها من هم ذووها ولهم دراية بها وقدرة عليها، إنما الكتاب تقدير لعبقرية محمد- ﷺ- بالمقدار الذى يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى، وبالحق الذى يبث له الحب فى قلب كل إنسان وليس فى قلب كل مسلم وكفى.

فمحمد- ﷺ- هنا عظيم لأنه قدوة المقتدين فى المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس؛ عظيم لأنه على خلق عظيم)[1].

وفى عبقرية محمد- ﷺ- يقدم لنا العقاد البرهان على أن سيدنا محمدا- ﷺ- عظيم فى كل ميزان، عظيم فى ميزان الدين، وعظيم فى ميدان الشعور، وعظيم فى ميدان العلم، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد، ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية.

ويصحبنا العقاد فى رحلة ممتعة ندرك خلالها أن عمل سيدنا محمد- ﷺ- لكاف جد الكفاية لتخويله المكان الأسمى من التعظيم والإعجاب والثناء.

ثم يطوف بنا العقاد حول عبقرية سيدنا محمد -ﷺ-، وما له اتصال بجوانب

(1) عبقرية محمد- عباس محمود العقاد- مجلة كتاب الشعب- ط مؤسسة دار الشعب- ص٥- (بتصرف).

هذه العبقرية فى تعدد مناحيها، وهذه هى قيمة هذه الدراسة الفريدة التى تعتبر درة عقد كتب السيرة، وقد مضى يرسم فى سيدنا محمد- ﷺ- المثل الأعلى فى الشخصية الدينية القدسية مستمدا من التاريخ الذي لا خلاف فيه، غير معنى بما يروى من الخوارق التى رافقت ميلاده، وقيل إنها كانت إرهاصا لرسالته لأن وراءها من حوادث الكون وحقائق التاريخ ما يصور حاجة الدنيا حينئذ إلى الرسالة المحمدية حاجة يوضحها الواقع أكثر مما يوضحها الخيال.

وهذا واقع مثّل العقاد من خلاله عبقرية سيدنا محمد- ﷺ- النبي الداعي؛ فبلغ دعوته التى ارتكزت على مخاطبة العقل وفصاحة اللسان، وعبقرية سيدنا محمد- ﷺ- الإنسان فى رحمته وبره وعطفه وشرفه ونزاهته التى عاش وفاقا لأسمى مبادىء الخلق الاجتماعى والإنسانى معيشة لو لم يقترن برسالته النبوية لكان حقا على الإنسانية أن تعده عبقريا بملكاته العظيمة، وهى ملكات نفذ من خلالها العقاد لدحض ما يتقوله خصوم الإسلام على المثل الكامل من تعدد أزواجه، ومن حمله السلاح وهو لم يحمله إلا دفاعا عن نفسه ودعوته !!

وينتقل العقاد إلى عبقرية عمر- رضي الله عنه- فلا يدرس فيه الخليفة الذي هزم القياصرة والأكاسرة؛ وإنما يدرس شخصيته الإنسانية العظيمة بسلائقها النفسية وأخلاقها العليا، مما جعله يقول فى مقدمة دراسته:

(كتابي هذا ليس بسيرة لعمرَ ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسة لأطواره، ودلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلمِ الأخلاق وحقائقِ الحياة)[1].

وهى عظمة راع العقاد فيها أنها تجمع القوة والعدل والرحمة والحزم

(1) عبقرية عمر- عباس محمود العقاد- ط: دار نهضة مصر بالفجالة- ص ٥.

والتضحية والحصافة وسداد الرأى والغيرة على الحق والاستقامة.

وما زال يدرس خصاله الرفيعة حتى عثرعلى مفتاح شخصيته الذى فتح به مغاليقها، وهو طبيعة الجندي فى صفتها المثلى من الشجاعة والحزم والصراحة والخشونة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق وحب الإنجاز فى حدود التبعات والمسئوليات.

وما إن عثر على هذا المفتاح حتى انكشف له شخصية (عمر) الفاروق- ﷺ- بجميع أعمالها وعلاقاتها ووجوه عظمتها.

ويدرس خالد بن الوليد- ﷺ- ويخرج فى كتابه (عبقرية خالد)[1] مصورا فيه عبقريته الحربية المظفرة، وما امتاز به من صفات والقائد العظيم المفطور على النضال من الشجاعة وقوة التأثير، ووضع الخطة عند الحاجة إليها فى موضعها الدقيق.

وقد جعل مفتاح شخصيته هو نفس مفتاح شخصية (عمر) ﷺ ، وهو طبيعة الجندى مع فوارق مهمة؛ فابن الخطاب تغلب عليه من سليقة الجندى ناحيته الروحية أو الضمير، وابن الوليد تغلب عليه هذه السليقة ناحية الحيوية، أو بعبارة أدق كان (عمر) جنديا فى أخلاقه الوازعة الحاكمة، وكان (خالد) جنديا فى أخلاقه الدافعة الهاجمة؛ فهما جميعا جنديان مثاليان- رضى الله عنهما- ولكنهما يختلفان فى النفسية والأخلاق.

كذلك في دراسته لعبقرية الإمام علي - ﷺ- بدأها بالحديث عن شيمه الرفيعة ،وسرعان ماعثر على مفتاح شخصيته الذي يفض منها كل مغلق ،وهو آداب الفروسية التي تجمعها كلمة (النخوة) وماتضمه من معانى الأنف والشرف، وهو

(1) ينظر: عبقرية خالد- عباس محمود العقاد- ط٤ نهضة مصر ط(٨) ٢٠٠٥م.

شرف لم ينسه (على)- ﷺ- قط، حتى لكأنما فطر عليه أو كأنه جزء لا يتجزأ من فطرته، وهو يعيش طبقا لأعلى مبادئه فى جميع أعماله وعلاقاته غير ناظر إلى مصلحة شخصية عاجلة، ولا إلى مأرب دنيوي زائل.

وفى عبقرية (أبى بكر الصديق)- ﷺ- يعيد فى أوله كلامه عن عبقريته ما قاله فى عبقرية سيدنا (محمد) ﷺ، وعبقرية (عمر) ﷺ ، من أنه لا يقصد إلى كتابة السيرة التاريخية لمن يصور عبقرياتهم، وإنما يقصد أن يرسم صورة نفسية تجلو ملكاتهم وأخلاقهم وبواعث أعمالهم، ويحس بما يخامر بعض النفوس إزاء هالة الجلال والكمال التى يحيط بها صور هؤلاء الرجال من أنه يعمد إلى تجميلها، فيقرر أن تلك الهالة إنما نشأت من التوقير لا من التجميل الذي يفضى إلى التزييف.

وقد مضى يجسم مثالية الخليفة، وما امتاز به من الألفة وحسن العشرة والتواضع ولين الجانب، ومرءوته وصدقه حتى سمى (الصديق) نعتا اختص به مع حدة المزاج وشدة الذكاء وصفاء الروح والطموح إلى المثل العليا.

وما زال يرسم ملامح شخصيته ويدرسها حتى وقف على مفتاحها الدقيق وهو الإعجاب بالبطولة ، وهو إعجاب جعله أول المقتدين بالرسول- ﷺ- وأول المهتدين به عن وعى صادق وإيمان عميق.

((وقد تعارضت الآراء، وتضاربت وجهات النظر فى منهجية العقاد؛ فمن النقاد من يرى أن العقاد صاحب منهج محدد المعالم والخطوط، ناطق الملامح والسمات.

ومنهم من يرى أن العقاد- على فحولته وعظمته- عاش بلا منهج، ذلك كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل استخلاص نظرية أدبية ونقدية له، إنما هي أراء تنطق عن عواهنها، وتتناثر فى كتب العقاد ومقالاته، وقد يناقض بعضها البعض

الآخر أحيانا كأن القارىء يقرأ لكتاب متعددين لا كاتب واحد))[1].

يبد أننا لو أمعنا النظر لوجدنا من خلال تراجم العقاد أن الرجل يسير فيها على منهج واضح القسمات، وإذا نظرنا إلى المنهج العام لترجمات العقاد نجد أنه يغلب عليه منهج يتكون من عدة نقاط:

١) الإشارة فى إيجاز إلى سر تأليف الترجمة.

٢) الإشارة فى إيجاز إلى المحيط الذى تعمل فيه الشخصية، وإن كان هذا الذكر لهذا المحيط لا يستغرق من الصفحات ما يستغرقه هذا الجو المحيط لشخصيات وتراجم غيره؛ فنرى العقاد يشير إلى هذا المحيط فى إيجاز وترتيب من الخارج إلى الداخل، فحين ترمى حجرا فى ماء ترى اتساع حلقات الماء فى دوائر تتسع كلما عظم حجم الحجر وقوة إلقائه؛ فالدائرة الخارجية العالم، ثم الذي يليها الأمة، فالقبيلة، فالبيت مركز الدائرة، وأهم ما سبب تلك الدوائر فهو محط النظر وموضع الدراسة لبيان ما نشأ عن ذلك وترتب عليه.

٣) الإشارة إلى عوامل تفوق صاحب الترجمة، وهى تكون ذاتية من مركبات الشخصية، وقد تكون خارجية تتمثل فى الاستعداد لتقبل ما يلقى تلك الشخصية ثم الإيمان بها والعمل على مؤازرتها فيما تدعو إليه، وتعضيد وسائلها وإذاعة أوامرها ونواهيها.

٤) نعت الشخصية ببضع مفردات تضع مفتاحها فى يد القارىء.

٥) إبراز العبقرية فى بعض الجوانب التي قد يتساوى معها الأفراد والجماعات فيها، ولكنها بما أوتيت وتركب فيها، وساعدتها عوامل خارجية قد تفوقت فى

---

(١) منهج العقاد فى التراجم الأدبية- د/جابر قميحة- ط مكتبة النهضة- ط(الأولى) ١٩٨٠- ص٤- ٥ .

بابها وتفردت بين أقرانها، فسبقت فى تلك الميادين بما لا يستطيع معه إنسان أن يلحق بها.

٦) بيان وإبراز مواهب صاحب الترجمة، وتتضح تلك المواهب وترى ساطعة وضاءة حين يعمد المرء إلى مقارنتها بغير من يكتب عنه، فتظهر العظمة ويقر بالفضل ويعترف بقصب السبق.

٧) وضع الشخصية فى الميزان النقدي ببيان مزاياها ثم المثالب التى قد توجه إليها فإن قام الدليل على صحتها وإلا كان الرد المفحم الذى يلتمس فيه إسكات الخصم بالحجة والبرهان الساطع والدليل الواضح.

٨) الدعوة إلى تحريك العقل عن طريق منهج الاستقراء والتأمل فيما وراء الحدث ليتبين العقل بعد ذلك مقدرته على الحكم السليم فيما يعرض عليه، والحكم على الأشياء بالصحة والبطلان أو الإيجاب والرفض.

٩) المنهج النفسي الاعتماد على تحليله لتجلية كثير من الأمور التى يقف العقل أمامها متسائلا عن سبب لتفسيرها، ولماذا أزمع صاحب السيرة على التفكير فيها أو أقدم على فعلها؟

١٠) موقف صاحب الترجمة من الجو الثقافى المحيط به.

ولنعود إلى هذا المنهج بشيء من التفصيل مع ذكر الشواهد الدالة على صدق ما رأيناه من خلال قراءة تلك الترجمات.

١- الإشارة فى المقدمة إلى سر تأليف الترجمة فى إيجاز.

يقول العقاد فى (عبقرية محمد) ﷺ فى المقدمة:

((واليوم ونحن نضع كتابنا هذا عن عبقرية (محمد) ﷺ بين يدى القراء، لا نقول إننا قد استوفيناه كما أردنا، ولا إننا فصلنا فيه الغرض الذى توخيناه، ولكننا

نقول إننا التزمنا فيه الباعث الذى أوحى الاقتراح بتأليفه لأول مرة، كأننا شرعنا فى كتابته مساء ذلك اليوم قبل ثلاثين سنة، فكتبناه ونحن نستحضر فى الذهن تبرئة المقام قبل ثلاثين سنة، فكتبناه ونحن نستحضر فى الذهن تبرئة المقام المحمدي من تلك الأقاويل التي يلفظ بها الأغراء والجهلاء عن حذلقة أو سوء نية، ونظرنا اتفاقا فإذا بأطول الفصول فيه الفصلان اللذان شرحنا فيهما موقف (محمد) ﷺ من الحرب ومن الحياة الزوجية لأنهما كانا مثار اللغط تلك الليلة على مقربة من ساحة المولد، وكانا مثار اللغط فى كل ما ردده سفهاء الشائنين من الأصلاء والمقتدين فى هذا الباب)) [1].

وهذا واجب كل مفكر مسلم تجاه ما يردده هؤلاء المغرضون بما يوعزون فى صدر أبناء الأمة الإسلامية من تشكيك فى دينهم ومعتقداتهم ليبعثوا نار الفرقة والخلاف فتقضى عليهم وعلى دينهم الذى يهابون، لأنه متى عمق الإيمان وحسنت صلة المرء بدينه تبوء منزلة أعلى، وارتقى بمقعده فوق هؤلاء الذين يخشون قيامه من ركوده ونهوضه من كبوته وإعلاء شانه ومكانته، فهم يريدون له التخلف لإقامة الصلة بين تخلفه ودينه فيرتد ضعاف النفوس عن أداء مفردات وواجبات الدين، ويريدون من طرف خفي القضاء على القدوة والمثل فى النفوس، فتقعد الهمم وتثبط العزائم ويحيا الإنسان حياة لا طائل، ولا هدف من ورائها.

ويقول فى سر تأليف ترجمة (عبقرية عمر)رضي الله عنه بإيجاز فى المقدمة.

((وكتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسة لأطواره، ودلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلمِ الأخلاق وحقائقِ الحياة، فلا قيمةَ للحادث التاريخي جلّ أو أدقّ حيث أفاد في هذه الدراسة، ولا

(1) عبقرية محمد ﷺ ص٥.

يمنعني صغر الحادث أن أقدمه بالاهتمام والتنويه على أضخم الحوادث، إن كان أوفى تعريفاً بعمر، وأصدق دلالة عليه.

وعمر بعد رجل المناسبة الحاضرة فى العصر الذى نحن فيه؛ لأنه العصر الذى شاعت فيه عبادة القوة الطاغية، ورغم الهاتفون بدينها أن اليأس والحق نقيضان؛ فإذا فهمنا عظيما واحدا كعمر بن الخطاب فقد هدمنا دين القوة الطاغية من أساسه؛ لأننا سنفهم رجلاً كان غاية فى البأس، وغاية فى العدل وغاية فى الرحمة، وفى هذا الفهم ترياق من داء العصر يشفى به من ليس بميئوس الشفاء)) [1].

إذن فهى دراسة لأحوال (عمر) ﷺ - النفسية وإبراز لتوجهات أعماله الداخلية وتفسير لنوازع الملكات والتفرد ورد كل إلى أصوله وما صدر عنه.

ثم هى من جانب آخر بيان لحالة عصر وإقامة الحجة والدليل على خسران أفكاره وإبطال لمعتقداته وما يريد أصحابه أن يوقعوه فى روع أتباعهم ليهنئوا بملكهم بعيدًا عن متطلبات الرعية وما تحتاج إليه .

٢- الإشارة إلى سر عبقرية عنوان الترجمة، ولماذا خلع عليه تلك الصفة، وهذه المزية دون سواها منطلقًا فى ذلك من توجهات خارجية وأخرى داخلية ، داخلية ممثلة فى صفات الشخص الخلقية، والخارجية مما طرأ على الشخص من ارتباط بتوجهات جديدة عملت على إبراز عبقريته وشموخ أعماله وارتفاع غاياته.

فعمر يوصف بالعبقرية إذا نظرنا إلى أعماله، ويوصف بالعبقرية إذا نظرنا إلى تكوينه الذى جعله مستعدا لتلك الأعمال مضطلعا بتلك القدرة.

---

(1) عبقرية عمر ص ٥ .

يقول العقاد فى صفات الفاروق عمر- رضي الله عنه-:

((كان طويلا بائن الطول يرى ماشيا كأنه راكب، جسيما صلبا يصرع الأقوياء، ويروض الفرس بغير ركاب، ويتكلم فيسمع السامع منه وفاق ما رأى من نفاذ قول وفصل خطاب، تشهد العيون كما تشهد القلوب أنه لمن معدن العظمة أو معدن العبقرية والامتياز بين بنى الإنسان، وللمحدثين علامات فى العبقرية تتصل بالتكوين وتركيب الخلقة كما تتصل بمدلول الأخلاق والأعمال)) [1].

إذن فالعبقرية[2] فى ضوء علم النفس وأخلاق المدارس الحديثة، تتبع أحيانا من الشكل الخارجى للشخصية، فيكون بما اشتمل عليه من صفات وما يتمتع به من خلال خليقا بأن يأتى بالأفعال العجيبة التى تقع من النفوس موقع الإجلال والإكبار لصاحبها، ومتى يكون العبقرى عبقريا حين يكون طويلا بائن الطول أو قصيراً بين القصر، أو يعمل بيده اليسرى أو يعمل بكلتا يديه، أو مما يلفت النظر بغزارة شعره أو بنزارة شعره على غير المعهود عند كل الناس.

ويكون من العبقرية أن يأتى بأمور ويستجيب لطوارىء خلاف ما يعتقد الناس ويتوقع، فيكون فيهم من يفرط فى سطوته وحدته، كما يكون منهم من يفرط فى هدوءه، ومنهم من يكون معلقا بعلم الغيب وخفايا الأسرار مع فطنة وذكاء وبُعد النظر وحماسة فى كثير من الأحيان.

فإذا نظرنا إلى عبقرية (عمر) من خلال ذلك وجدناه قد ألم بتلك الصفات؛

---

(1) عبقرية عمر ص١٣.

(2) قال ابن الأثير: عبقر قرية تسكنها الجن فيما زعموا؛ فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق أو شيئا عظيما فى نفسه نسبوه إليها فقالوا: عبقري. ثم اتسع فسمى به السيد والكبير. لسان العرب لابن منظور- ط دار صادر- ط(٤) ٢٠٠٥م الجزء(١٠) ص١٨ مادة (عبقر).

فكان طويلا يمشى كأنه راكب، وكان أعسرا يعمل بكلتا يديه، وكان أصلعا خفيف العارضين وكان عظيم الغضب، سريع البكاء من خشية الله- سبحانه- وكان من فرط حسّه وشعوره يميز بين المذوقات والمشمومات التى لا يسهل التمييز بينها، وكان له فراسة يعتمد عليها، ويرى أن من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه، هذه الفراسة وشبيهاتها هى ضرب من استحياء الغيب واستنباط الأسرار بالنظر الثاقب.

تظهر تلك العبقرية فى نظرته أو شعوره على البعد ألو كما يسميها علم النفس بالمكاشفة والرؤية.

يقول الإمام الغزالي: ((اعلم أن العلم قسمان: علم مكاشفة، وعلم معاملة. أما علم المكاشفة فهو علم الباطن وذلك غاية العلوم، وهو علم الصديقين والمقربين ، وهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة...)) [1].

ويقول العقاد:

((على أن المكاشفة أو الرؤية كما يسميها النفسانيون المحدثون إنما تظهر بأجلى وأعجب من هذا كثيرا فى قصة (سارية) المشهورة، وهى مما يلحقه أولئك النفسانيون بهبة التلباثى أو الشعور البعيد[2].

كان رضي الله عنه يخطب بالمدينة خطبة الجمعة فالتفت من الخطبة ونادى:

([1]) مقال (الغزالى وعلم النفس) حمدى الحسينى-مجلة (الرسالة) بتاريخ ٢٨-٨ -١٩٥٠م.

([2]) يراجع: التخاطر عن بعد والاستبصار قوة العقل والإرادة –غاى ليون بليفير-ترجمة: عيسى سمعان-ط:دار العلم سورية- ط(١)١٩٩٠م- قوة الإرادة-ص٦٣وما بعدها.

يا سارية[1]: حصن! الجبلَ.. الجبلَ! ومن استرعى الذئب ظلم.

فلم يفهم السامعون مراده، وقضى صلاته، فسأله علي: ما هذا الذي ناديت به؟ قال: أو سمعته؟ قال: نعم... أنا وكل من فى المسجد.

فقال-ﷺ- : وقع فى خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم، وأنهم يمرون جبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا، فخرج مني هذا الكلام، وجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت (عمر) يقول: ياسارية... فعدلنا إليه ففتح الله علينا)) [2].

وأما الخارجي فهو ارتباطه بالإسلام؛ فلولا الدعوة الإسلامية التى بعثت كوامن العظمة فى أمة العرب، ما سمعنا بابن الخطاب، فقد كان خليقا ولا ريب أن يستوي على مكانة الزعامة فى بني عدي أو حتى بين قريش قبيلته الكبرى ثم ينتهي شأنه هناك شأن الكثيرين ممن لا نسمع بهم؛ لأن بيئتهم طلبت منهم ما يذكرون به فيها، ولم تطلب منهم ما يذكرون به فى أقطار العالم البعيد؛ فعمر الذي عرفه تاريخ العالم وليد الدعوة المحمدية دون سواها، ولم يكن بغيرها يعرف فى غير الحجاز أو الجزيرة العربية.

وكان من مظاهر تلك العبقرية أن أزال عن الناس الخوف الذي ملأ عليهم أقطار نفوسهم حين عهد إليه (أبو بكر) ﷺ بالخلافة من بعده، فلم يترك تلك النفوس حيرى قلقة يكمن من ورائها الخطر على الدولة، وإنما أبان لها سياسته فى الشدة التى تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، وأما أهل السلامة

---

[1] يراجع : البداية والنهاية –الحافظ ابن كثير- ط :المعارف –بيروت-١٩٩٣م –الجزء السابع – ص ١٣٠-١٣٢.

(٢) عبقرية عمر ص١٧ .

والدين فهو ألين لهم وأرحم وأوسع صدرًا.

فكانت الرحمة من صفاته التى وازنت فيه العدل؛ فما سار فى عدله إلا ليضع من قوة الأقوياء المعتدين، وينجد به الضعيف المعتدى عليه.

ويذكر العقاد أسباب أو سر العبقرية عند أم المؤمنين (عائشة) رضى الله عنها- تلك التى جعلتها تنظم فى هذه الدراسة مع سائر الأعلام من الرجال الذين أقاموا التاريخ الجديد للعالم ليعم الخير والرجاء والأمن فى كل نفس.

((وجملة ما يفهم من وصفها على التحقيق أنها كانت بيضاء، فكان عليه الصلاة والسلام يلقبها بالحمراء، وكانت أقرب إلى الطول لأنها كانت تعيب القصر ... وكانت فى صباها نحيلة أو أقرب الى النحول حتى كان الذين يحملون هودجها خاليا يحسبونها فيه ... ثم مالت بعد سنوات إلى شيء من السمنة... وعلمنا من بعض أحاديثها أنها وعكت مرة فتمزق شعرها، ولذلك قالت: إذا كان لأحدكم شعر فليكرمه، وعلمنا من رواة واقعة الجمل أنها كانت جهورية الصوت تخطب فى هودجها فى ساحة الحرب فيسمع خطابها)) [1].

ولو عرضنا تلك الأوصاف على علماء النفس ممن ينظرون إلى الشخص فى تفرده وتميزه بصفات واضحة ظاهرة من المبالغة فى صفة من الصفات فتزيد على ما عند سائر جنسه، فسنجد البياض الشديد المخالط بالحمرة، والطول والنحافة الشديد التى لا تجعلك تميز هل هى فى هودجها، أو لا؟ ثم سقوط شعرها،وجهارة صوتها حتى إنه ليسمعها العسكر جميعا فى ساحة الحرب وهى داخل هودجها.

ولعلها ورثت عن أبيها- ﷺ- كثيرا من تلك الصفات التي جعلتها تتميز فى بابها بين النساء وتتفرد؛ فكان (الصديق) جميلا، حتى إنه لقب بالعتيق لجماله، وكان

(1) الصديقة بنت الصديق- عباس محمود العقاد- سلسلة اقرأ- ط دار المعارف- ط (الثالثة). ص ٤٣ وما بعدها .

نحيلا دقيق التكوين، وكان فيه حدة طبع مع حدة ذكاء تمكنه أن يتفوق فى كثير من المواقف برأيه على غيره فيظهر التميز، وتتحقق العبقرية فى الإصابة.

٣- الإشارة فى إيجاز إلى المحيط الذى تعمل فيه شخصية الترجمة ليتضح من وراء هذا العرض الموجز لهذا المحيط أنه كان بحاجة إلى تلك الشخصية تخلصها من أدرانها وتغسلها من أوساخها، وتزيح هذا الضباب الكثيف الذي ران على عقلها وقلبها، وتضىء لها الطريق تتبين معالمه وتتعرف حدوده، فتسمو بذاتها، وتشعر بكرامتها وعزها.

فنرى العقاد يشير إلى هذا المحيط فى (عبقرية محمد) ﷺ- فى ترتيب بديع من الخارج إلى الداخل، من أوسع دائرة حول المركز حتى يصل إلى نواة هذا المركز، فالدوائر المتوالية هي العالم ،فالأمة، فالقبيلة ثم البيت مركز الدائرة، وأهم ما سبب تلك الدائرة. فهو محط النظر وموضع الدراسة لما له من عظيم التأثير، فهو الأصل الذي أوجد الفرع، وهو الجزء الذي أوجد الكل.

فالعالم كان متداعيا قد شارف على النهاية، فقد القوة التى تبسط العدل وتحمى الضعيف، وتجزى الظلم، وتختار الأصلح والأكمل من جميع الأمور، وفقد الدولة التى تقضى بالشريعة، وتفصل بين البغاة والأبرياء، وتحرس الطريق، وتخيف العائثين بالفساد؛ إنه عالم يتطلع إلى حال غير حاله، عالم يتهيأ للتبديل، أو للهدم ثم البناء.

والأمة هى أمة العرب، والتى نتيجة لمعرفتها بأهمية موقعها بدأت تتنبه لوجودها، وتشعر بمكانتها كما تشعر بالخطر عليها، وبمواضع النقص منها، وتسلل الشك فى صلاح الأمور إلى نفسها، ولكنه الشك الذي يبحث ويضطرب، وليس الشك الذى يستجم ويستكين.

إنه الشك فى العقيدة ، الشك فى الدين؛ فالنفس قلقة مضطربة حيرى تتلهف

ضالتها لتقع عليها فتستريح ويزول عنها عكنها، فإذا ما استقرت تطلع صاحبها إلى البناء وتفرغ للتعمير.

والقبيلة فرعان: أحدها: من أصحاب الترف والطمع، واستبقاء ما هو قائم كما كان قائما على هواها، والأخرى: من أصحاب التقوى والسماحة والتوسط بين مقام القوى، ومقام الضعيف.

والبيت هو بيت العراقة والنسب والثروة والكبرياء.

إذن فالكون كان مهيئا للبعثة، متطلعاً فى شوق إلى رسول يلقى حجراً فى هذا الماء الراكد ليحركه، ويبدل سمت الحياة فيوقظ الروح ويبعث الأمل ويقلق الضمير على ما تدنى إليه العالم فى رؤيته لواقعه، وتفكيره، ومعاملته، وسائر أحواله المختلفة.

فسيدنا (محمد) ﷺ أصلح رجل من أصلح بيت فى أصلح زمان لرسالة النجاة المرتقبة؛ فقد ظهر والمدينة مهيأة لظهوره لأنها محتاجة إليه، والجزيرة مهيأة لظهوره لأنها محتاجة إليه.

وفى ترجمة (جميل بثينة) بيّن العقاد تأثير الجو المحيط فى شخصية صاحب الترجمة؛ فقد عاش فى القرن الأول للهجرة فى الحجاز، وأوجز ما يقال عن البيئة التى نشأ فيها أنها بيئة التى تخرج أمثال (جميل) من شعراء البادية المحيطين بالحضارة الحجازية.

فقد نشأ، والعصر عصر ترف، فيه تيسر للمترفين ما كان متعسرا قبل ذلك فى عهد النبى-ﷺ- والخلفاء-رضي الله عنهم- من ضرب اللهو والمتعة، مع اختلاف محسوس تقضى به رعاية الدين؛ بل إن أصحاب الدولة الجديدة كان يخشون من أبناء الرؤساء فى الحجاز أن ينصرفوا عن حياة الفراغ إلى حياة الجدّ والطموح، فليس فى جدهم وطموحهم أمان للدولة الجديدة، وإنما الأمان أن يلعبوا ويرتعوا

ويجتمعوا على اللغو والفضول وإيثار الدعة والرخاء، فأستأنف الحجاز تاريخا قديما طويلا فى اللهو والمجون، وهذه الحياة عدوى لا يسلم منها من عاش فيها، ولو كان مطبوعا على الجد والطموح، لأنها كالهواء الذى لابد أن يستنشق المرء شاء أم أبى، فشاء الغزل وانتشر واشتهر به الجميع.

ذلك شأن الحضر، ولم تكن البادية بأقل غزلاً أو نظما فى الغزل من الحواضر، وإن تباينت الأساليب والآداب، بل إن الغزل فى البادية أكثر لأن الحضر قد يجد العوض بما تعوض به حاضرته من وسائل الترف والتسلية لا تتوفر لشاعر البادية، فيكون غزله عوضا عن تلك الأنواع المنوعة؛ فالبادية مهد الغزل قبل الحاضرة اتسع فيها الغزل، وظهر شعراء النسيب بنوعيه، تغنيا بامرأة واحدة كما يغلب على شعراء البادية، أو تغنيا بالحسان جميعا كما يغلب على شعراء الحاضرة.

وعلى هذا عملت تلك البيئة بما توافر لها من أسباب على انطلاق لسان (جميل) بالغزل، ونبوغه فيه وتفوقه، فسارت الركبان بأحاديث هواه، وتجمعت العرب لسماع غزله وشعره الذي ظفر بكل عناية فكان صالحا لتشجيع العاشقين.

٤- الإشارة إلى أسباب تفوق صاحب الترجمة، وهى قد تكون ذاتية من مركبات الشخصية، وقد تكون خارجية تتمثل فى حُسن الاستعداد لتقبل ما يلقى تلك الشخصية ثم الإيمان بها والعمل على مؤازرتها فيما تدعو إليه، وتعضيد وسائلها وإذاعة أوامرها وأخبارها.

فمن العوامل الذاتية فى ترجمة سيدنا (محمد) ﷺ- :

١) فصاحته التى تكاملت فى كلامه، وفى هيئة نطقه بكلامه، وفى موضوع كلامه فكان أعرب العرب، ولما لا يأتى كلامه على تلك الهيئة؟ وقد نشأ فى قريش، واسترضع فى بنى سعد موطن اللغة، وموضع البلاغة والفصاحة.

وهل هناك دليل على أن العرب قد ولدت معهم الفصاحة والبلاغة من

مجيىء خاتم الرسالات فى نوع ما نبغوا فيه وتفوقوا؟

فكانت الفصاحة الوسيلة التى يعرض بها سلعته وتجارته الرابحة للناس؛ فمتى اشتراها المرء غنم من ورائها من المكاسب مالا يحصى أو يعد.

٢) الوسامة والثقة، فإذا لم يتوافر لحسن التعبير وروعة الأداء من العوامل ما يجذب القلب، ويشجع على التطلع فى استغراق ذهب ما يقوم به الداعى، ويدعو إليه أدراج الرياح، ومن أهم تلك العوامل روح القبول التي تحببه إلى كل من رآه، وتجمع إليه قلوب من عاشروه، وحسبك من حب الضعاف إياه أن فتى مستعبدا يفقد أباه وأسرته، كزيد بن حارثة ثم يظهر له أبوه يعد غيبة، فيؤثر البقاء مع (المصطفى) ﷺ على الذهاب إلى أبيه.

ومن حب الأقوياء له أن يجمع على محبته أناسا مختلفى الطباع متفاوتى المزاج والمشارب والخصال ما بين السادة الأكارم أبى بكر، وعمر، وعثمان، وخالد وأبى عبيدة- رضى الله عنهم وأرضاهم- وغيرهم.

ولم تكن هذه المحبة تقع بالدماثة والصباحة وحُسن القبول لو لم يكن سيدنا محمد-ﷺ- موثوقا به مؤتمنا؛ فقد شهد له بالصدق والأمانة أعداؤه ومخالفوه، كما شهد بهما أحبابه وموافقوه، وقد أعانه- عليه الصلاة والسلام- على أسلوب الإبلاغ أن الذين كانوا يستمعون إليه، إنما كانوا يستمعون إلى كلام نبى محبوب مطاع، فهو نافذ فى نفوسهم بغير حيلة، مجتمع لأسماعهم بغير تشويق، فإذا كان الرجل محبا للناس أهلا لمحبتهم إياه فقد تمت له أداة الصداقة من طرفيها.

٣) الإيمان والغيرة؛ فلن ينجح الداعى إذا لم يكن مؤمنا بصواب ما يدعو إليه والغيرة عليه، وقد قضى رسول الله ﷺ شبابه وهو يؤمن بفساد الزمان وضلال الأوثان؛ فالإيمان بالدعوة من الفصاحة والوسامة والبلاغة والصباحة، فقد نجح داعون كثيرون تعزوهم طلاقة اللسان وطلاقة القسمات، ولم ينجح قط داعية

يعوزه الإيمان يدعونه والغيرة عليها والحرص الشديد على أهميتها، وفحوى ما تحمل من الخير والحق والجمال للإنسانية.

وأما العوامل الخارجية فمنها:

أ) استعداد الناس لتلقى الرسالة؛ فقد كان الكون والناس فى انتظار هذا العظيم الذى يخلصهم من حالتى التردى والهلاك التى كانا عليها، يحررهم من عبودية أنفسهم وعبودية الإنسان ورقه، ويرد عليهم إيمانهم بأنفسهم وبالحياة، ويعيد الكرامة السلبية والعزة المفتقدة والروح الغائبة للحياة.

إنه الاستعداد دون انتظار لجزاء من نعيم أو طلب لجاه أو سلطان وإنما أن تعود للإنسان إنسانيته ،وأن تعود للروح روحانيتها.

فلم تسلم الناس على حد السيف خوفا من النبى الأعزل-ﷺ- المفرد بين قومه الغاضبين عليه بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد الأقوياء المتحكمين، وقد نجحت دعوة الإسلام لأنها دعوى طلبتها الدنيا ورجتها البشرية، وقام بها داع تهيأ بعناية ربه –عزوجل- وموافقة خلاله وصفاته ،فكان أن وقع الشبيه على الشبيه ،والنظير على النظير.

ونرى في ترجمة الصديق (أبي بكر) ﷺ اجتماع العوامل الذاتية والخارجية .

أما العوامل الذاتية فمنها :

أ-مولده ﷺ في قبيلة تميم وبيت أبيه الذي كان موضع الذؤابة من هذه القبيلة ،وهم قوم اشتهر رجالهم بالدماثة والأدب ،واشتهرت نساؤهم بالدل والحظوة،وربما كان مرجع ذلك إلى طول عهد القبيلة بحياة المدينة وأشغالها ،وأن اشتغالها بالتجارة كان يقوم على المودة وحسن المعاملة ،ولا يقوم على بسطة النفوذ وصولة الوفر والغلبة ،كما كانت التجارة تستلزم الشجاعة للمحافظة عليها

ضد المغيرين وقاطعي الطرق ،فكانت شجاعته ﷺ كفاء صدقه ووفائه بوعده سواء منها شجاعة الرأي أو شجاعة القتال.

ب- تأثير الأسرة ممثلة في والده ؛فقد تأثرت الأسرة بآداب القبيلة فورثت عنها خلالها وصفاتها الحميدة ،وقد أثر الوالد (أبوقحافة)ﷺ في ابنه ؛حيث كان لوالده طيبة لا تخلو من دهاء ،وكثير مما في الصديق من هذا الأب الصالح –رضي الله عنهما- ،طيبة في يقظة ،في استقامة ،ويزيد عليه ابنه في كل وصف حميد ؛فكان أليفا ودودا حسن المعاشرة ،وكان مطبوعا على أفضل الصفات التي تتألف له الناس فيألفونه، ومنها التواضع ولين الجانب، فلم يتعال على أحد فى جاهليته، ولا فى إسلامه.

ولا غرو فى ما ذكرنا للصديق؛ فقد اختاره الله-عزوجل- لصحبة نبيه- ﷺ- ونص على صحبته فى كتابه فقال: (إذ يقول لصاحبه) [1].

وما أجمل وأكمل قول ابن مسعود- ﷺ- :

((من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد- ﷺ-؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله- تعالى- لصحبة نبيه- ﷺ- فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدي المستقيم)) [2].

ج- ومن الملامح والسمات أنه كان من أصحاب المزاج العصبي فى وراثة كريمة، فهو عصبي كريم النزعات والطوايا مما جعله يتميز بحدة الذكاء وسرعة التأثير والطموح إلى المثل العليا، والحماسة لما يعتقدونه، والتعلق بما يؤمنون به

(1) سورة التوبة من الآية (٤٠).

(2) جامع بيان العلم وفضله- يوسف بن عبد البر- تحقيق أبى الأشبال الزهيرى- ط دار ابن الجوزى- الجزء الأول- الحديث (١٨١٠)- ص٩٤٧.

ويصدقونه، وإذا كان الرجل من بيت من بيوت الشرف والوجاهة فشأنه إذ يكون على هذا المزاج أن يعتصم بالوقار ودواعيه ليحفظ بها كرامة الشرف الذى ينتمى إليه.

وأما العوامل الخارجية:

أ) ذكاؤه وسرعة بديهته، حين ثارت نار الردة عن الإسلام بين القبائل العربية،حيث يخطىء من يظن أو يتخيل أن الدين الجديد قد ملك الناس جميعا فى الجزيرة أو سرى فى بواطن النفس وخفاياها وتمكن من حشاشتها، أو أن تلك السنوات الأولى القليلة للإسلام قد اقتلعت كل أثر لأطماع الخليقة الآدمية، وكل حنين فى قلوب الزعماء إلى الجاه القديم، فهل كان للأعراب أن يوغلوا فى الإسلام بعد بضع سنوات ويتمكن من شغاف قلوبهم؟

هنا يتجلى ذكاؤه وتيقظت فطنته وسرعة بديهته حين أصر على إرسال الجيوش لمحاربتها فقابلها بأحزم ما يقابل من مبدئها إلى منتهاها.

((قال أبو رجاء البصرى: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل، ويقول له: أنا فداؤك، ولولا أنت لهلكنا، قلت: ومن المقِبل، ومن المقَّبل؟ قالوا: هو عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتال أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين)) [1].

ب) خاصية الاتباع والاقتداء؛ فقد جرى الصديق فى سياسة الدولة على هدى وسنة النبى- ﷺ- من مشاورة ذوى الرأى والثقة فى كل ما جلّ وأدى إلى السؤال، ولكنه كان يستقل بالرأى حين تكون التبعة فيه تبعته دون غيره، كما استقل بالرأى فى اختيار الخليفة من بعده، فسياسته كانت سياسة المقتدى المقتدر

(1) عبقرية الصديق- العقاد- مجلة كتاب الشعب- ط: مؤسسة دار الشعب- ص٧٧.

الذى يصغى إلى النصح ممن يرون التصرف والتميز، ولم يكن قط مقتديا على ضعف وتواكل وإلقاء بالتبعة على غيره، وإنما هى سياسة تؤدى إلى نجاح الحاكم وهو يسوس رعيته، فلا يتهم بالاستبداد أو الرجعية، فتكون كل أحكامه ومقرراته قابلة للتقيد، فلم تكن لحنا انفرد بأدائه بل شاركه فيه غيره من العظماء والبارعين.

٥-وصف الشخصية ببضع مفردات تدع مفتاحها فى يد القارئ.

وهذا المفتاح هو أميز ما كانت عليه شخصية الترجمة الذى تدخل به إلى أعماقها، وتقيس به توجهاتها وكل أفعالها .

يقول العقاد فى عبقرية (علي)-رضي الله عنه- :

(آداب الفروسية هى مفتاح هذه الشخصية النبيلة الذى يفض منها كل مغلق، ويفسر منها ما احتاج إلى تفسير)[1].

وأميز مميزات آداب الفروسية أن يتحلى صاحبها بصبغة النخوة، وقد كان فى (علي) الكثير من تلك الصفة- كرم الله وجهه- فقد قامت عليها معظم أعماله إن لم يكن جلّها؛ فنخوته في الفروسية قد بلغت به الغاية فى معاملة الضعفاء من الرجال والنساء، فلم ينس الشرف قط ليغتنم الفرصة، وهذه الفروسية هى التى بغضت إليه أن ينال أعداءه بالسباب، وليس من أدب الفارس أن ينال أعداءه بغير الحسام؛ فالإمام على-رضي الله عنه- على الرغم من تفقهه فى الدين ورجاحة عقله فى مسائله وحدوده لم يخرج عن طور الفروسية، بل هو أحرى أن يسلكه فيها، فلا تزال الفروسية بشتى عوارضها هى المفتاح الذى يدار فى كل باب من أبواب هذه النفس، فإذا هو منكشف للناظر عما يليه.

(1) عبقرية الإمام - العقاد- ط: مؤسسة دار الشعب- ص ١٨ .

وأما عن مفتاح شخصية (أبى نواس)، فقد كانت شخصيته نموذجية تظفر بنصيب كبير من الإخبار والأوصاف والمعالم الشخصية التى لم يظفر بها شاعر عربى فى المشرق أو المغرب، ولا فى الزمن القديم أو الزمن الحديث فشاعت عنه القصص والأخبار، وعرفه الناس حتى وإن لم يعرفوا شعره أو يرووا منه شيئا.

ولكن على الرغم من تلك النموذجية التى كان عليها إلا أن مفتاح شخصيته الذى يطلعنا على جميع ما قام به من أعمال، وارتكب به من صنوف الإثم والانغماس فى الملذات هو ما قال عنه العقاد:

(وإنما تفسر آفات أبى نواس جميعا ظاهرة نفسية أخرى هى النرجسية التى جعلناها عنوانا لهذا الفصل، وفيها تفسير لآفته الكبرى، وتفسير للآفات الصغرى التى تتفرغ على جوانبها)[1].

فأعمال أبى نواس تعزو فى جميعها إلى تلك النرجسية[2] التى هى شذوذ دقيق، يؤدى إلى ضروب شتى من الشذوذ فى غرائب الجنس، وبواعث الأخلاق، فقد تميل النرجسية يصاحبها إلى العلاقة بين الذكر والأنثى، أو تميل به إلى عادة شاذة بين شخصين من جنس واحد، كما كان يحدث من (أبى نواس) فى غزله بالمذكر والمؤنث، وفى الجمع أحيانا بين أكثر من فتاة أو أكثر من فتى فى العشق، ولا أصل للعشيقين فى نهاية المطاف غير النرجسية فى قرارها العميق!!

إن غزل (أبى نواس) بالمذكر والمؤنث، وتهافته على اللذات، ومعاقرة الخمر وارتياد مواطن القيان، وتجرؤه- أحيانا- على الخلفاء والرؤساء والعامة والدهماء

---

(1) أبو نواس "الحسن بن هانئ" - عباس العقاد- ط : دار الهلال- ص ٢٧ .

(2) ويعرف(فرويد) مفهوم النرجسية بعد أن أرسى قواعد نظرية نرجسية لـ (النوم- الفصام) توهم المرض أنها تتمة ليبيديه للأنانية (غريزة الأنا) انظر: النرجسية- دراسة نفسية- د/بيلاغرا نبرغر- ترجمة: وجيه أسعد- ط: منشورات وزارة الثقافة – دمشق- ٢٠٠٠م. ص١٠ .

إنما يرجع إلى حالة نفسية سيطرت عليه، وملأت عليه أقطار نفسه، واستولت على مشاعره، وحسه، وخلبت عليه لبّه، وهى النرجسية.

ويقول فى مفتاح شخصية سيدنا (محمد) ﷺ- :

((وحسبنا من عبقرية(محمد) أن نقيم البرهان على أن (محمدا) عظيم فى كل ميزان، عظيم فى ميزان الدين، وعظيم فى ميزان العلم، وعظيم فى ميزان الشعور، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد، ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية إلا أن يرين العنت على الطبائع، فتنحرف عن السواء وهى خاسرة بانحرافها، ولا خسارة على السواء))[1].

فالعظمة فى خلق سيدنا (محمد) ﷺ- من المركبات أودعت فيه يوم خلقه، العظمة فى الخلق، تعنى عظمته فى كل تعاملاته المحسوسة والمرئية، والروحية أو المعنوية والمادية، تلك العظمة التى امتدحها به ربّه (ﷻ) فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] "والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم فى نوع الأخلاق وهو البالغ أشد الكمال المحمود فى طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق فى النبي-ﷺ- فهو حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة؛ فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن" [3].

هذه العظمة هى التى جعلت الأرواح الصبة المستهامة بالحرية الروحية والجسدية تهفو إليه، كما يهفوا كل من يبحث عن ضالته عليها، فإذا وقع عليها

---

(1) عبقرية محمد – ص ٦ – ٧ .

(2) سورة القلم – الآية (٤) .

(3) تفسير التحرير والتنوير- الطاهر ابن عاشور- ط: الدار التونسية- تونس ١٩٨٤م- الجزء (التاسع والعشرون) صـ٦٤.

تعلق بها والتصق، وزاد عنه بروحه وحياته وأغلى ما يملك من المال والدر والجوهر.

٦- إبراز العبقرية فى بعض الجوانب المختلفة لشخصية المترجم له والمحتفى به.

فعندما يأتى إلى الحكم خليفة بعد رئيس أو ملك؛ فإن الرعية ترقب أفعاله لترى كيف سيصير أمور الدولة؟ وكيف يسوس رعيته؟ وكيف يحافظ على سلامتها ووحدتها وأمنها؟

وقد أعلن الصديق (أبو بكر)-رضي الله عنه- عن بعض جوانب السياسة العامة التى يسير بها فى الناس سيرة تجعلها مثالا ونموذجا لكل من أراد أن يسير على دربه والمشى على منواله والاهتداء بأفعاله.

أ) فأول أمر فعله حين ولى الخلافة كان إنفاذ بعثة (أسامة بن زيد)، وهى عبقرية من الصديق، فبجانب أنها كانت العنوان الأول لسياسة عامة فى الدولة الإسلامية هى فى ذلك الحين خير السياسات التى كان قوامها كله طاعة ما أمر به رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سواء فيما أوحى به من قرآن ، أو ما سنَّه للناس من شرائع ،فإنها أيضا كانت لا تمر بقبيلة تريد الارتداد إلا تخوفت وسكنت، فكان (أبو بكر)رضي الله عنه- يريد أن يوقع فى الروع أن المسلمين لو لم يكونوا على قوة ما خرج منهم هؤلاء، ومن هنا فإن بقاء (أسامة)- صلى الله عليه وسلم- فى المدينة بجيشه إذا كان جائزا لدفع الخطر، فإرساله كذلك كان جائزا لدفع خطر مثله.

ب) ثم تبرز عبقريته السياسية فى أمرين، أحدهما: سياسة داخلية تتمثل في تأمين الإسلام فى عقر داره، ظهر ذلك فى حروب الردة على الرغم من الاختلاف حولها، ولكن الصديق-رضي الله عنه- تفرد بالرأي فقضى على تلك الفتنة التى كادت تذهب بالإسلام لتعود بالناس إلى ضلالتهم وجاهليتهم الأولى، فبادرها بالحزم من صيحتها الأولى حتى أسلمت قيادها وثابت إلى قرارها.

والأمر الآخر: تأمين الإسلام فى حدوده، ودفع الخطر من هجوم الأعداء عليه والمتألبين عليه، فذكاء الصديق كان غالبا عليه فى أنه جعل تلك الحملات للتأمين لا هجوم فيها، ولا تهجم، ولا باعث لها إلا دفع الأذى، فكيف يقدم على ذلك فى مدة ولايته القصيرة الأجل، وقد استغرق قتال المرتدين واستنفذ من الجهد، والطاقات، والأموال ما يجعل الوقت وقت تأمين وليس هجوم أو فتح؛ فالهجوم بالفتح لا يأتي إلا من دولة داخلها قوى متحد، مهيأ ومعبأ تماما للإقدام على الغزو وخوض المعارك.

وتبرز كذلك فى أن (الصديق) قد جرى على سنة (النبى) ﷺ من مشاورة ذوى الرأي والثقة فى كل ما عظم أو دعا إلى سؤال، ولكنه كان يستقل بالرأى حين يكون له الرأى بمفرده، وتلك السياسة تؤدى إلى انصهار الكل فى واحد، وتجمعهم فى بوتقة واحدة من الألفة والحرص على الدين والدعوة وصيانة حدود الدولة وأملاكها، والدفاع عنها ضد أعدائها.

وتبرز أيضا هذه العبقرية فى جانب هام من الجوانب التي عالجها الإمام (على) رضي الله عنه- فى فترة خلافته وتوليته أمر المسلمين، هذه الناحية أو هذا الجانب هى السياسة الحكومية العامة التى رام أن يأخذ بها رعيته محاولا تحقيق الأمن والطمأنينة وبعث السعادة والاستقرار فى نفوسهم، فسياسته تقوم على أن الناس فى الحقوق سواء، لا محاباة لقوى، ولا إجحاف بضعيف، وقد فرض الرفق بالرعية على كل وال فلا إرهاق ولا استغلال، ولو كانت الحكومة هي صاحبة الحق فى المال.

وأما دستوره- ﷺ- فى الولاة والعمال فأمرهم أن يسبغوا على الرعية الأرزاق، وأن يكون الرعية عليهم حجة إذا خالفوا، ثم أمرهم أن يتفقدوا أعمالهم، وكان ينهى الولاة عن كشف معائب الناس، ولم ينكر قط شيئا من سياسة التولية ثم صنع

مثله فى عهده.

وأكبر ما يذكر فى عهده قيام الفكرة العالمية إلى جانب العصبية القبلية أو الوحدة الوطنية؛ فقد كانت القبيلة من أنصار الإمام تقاتل القبيلة من أنصار(معاوية) ﷺ- فى سبيل الرأي والعقيدة، وكان أنصار الإمام أبدا من الفرس والمغاربة والمصريين أكثر من أنصاره بين قريش خاصة، وبين بني هاشم على الأخص وبين قبائل العرب على التعميم.

وكان الإمام يذكر أبدا فى حكومته أن الحقوق العامة لها شأن لا ينسى مع حقوق الأفراد، فقد كان يأخذ ما يعرف فى العصر الحديث بحق الدولة إذا تنازل الفرد عن حقه، على نحو ما فعل مع الرجل الذي تنازل عن حقه مع الرجل الذي لطمه، فضرب المعتدى تسع درات، وقال هذا حق السلطان.

٧- الحديث عن الدفاع عن تلك الشخصية حين يضعها فى الميزان الذي يوضع فيه هذا العمل المفترى عليه، أكان قائله مصيبا فى رأيه؟ أم كان منه تجن ومحض افتراء لأغراض دفعها إليه هوى نفسه الآثمة؟

ومن المزاعم والمثالب التي يرمى بسهامها الناقمين على دعوة الإسلام ما حاوله بعض المستشرقين من الطعن فى قائد هذا الدين ومثله الأعلى، لا لشىء إلا ليهدم تلك الصورة التي يقتد به بها كل من آمن به، فإذا ما عيب عليه نقص، أو دخل سلوكه شك ضعفت مكانته فى نفس محتذيه، واهتزت صورته وانقلب على المثل الذى ظل مداومًا على العناية بصورته ووضعها نصب عينيه فى كل أفعاله وجميع تحركاته.

هذا العيب أو تلك المثلبة والنقص هي تعدد زوجات الرسول-ﷺ- فقال

بعض المستشرقين: إن تسع زوجات الرسول دليل على فرط الميول الجنسية[1]!!

ولكننا نقول لهؤلاء: لماذا لم تنعتوا (السيد المسيح)- عليه السلام- بأنه قاصر الجنسية؛ لأنه لم يتزوج قط؟!

إذا كان كذلك فلا ينبغي أن يوصف سيدنا (محمد)-ﷺ- بأنه مفرط الجنسية؛ لأنه جمع بين تسع نساء، ثم ما العيب على الرجل العظيم، والمثل، والقدوة أن يحب المرأة (الزوجة) ويشعر بمتعتها ؟

وتلك هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ما العيب عليه ما دام هذا التعلق لم يشغله عن أن يعطى الدعوة حقها، ويعطى المرأة (الزوجة) حقها؟

ومن العار على هؤلاء والخزي أن يقولوا ذلك دون أن يقرأوا سيرته مع زوجاته، تلك السير التى لم يخطها إنسان- قد يكون موضعا للاتهام وهدفا لرماح وسيوف الشك- وإنما الذى خطها ونزل بها أمين الوحي (جبريل)-عليه السلام -وذلك حين تمردن عليه زوجاته مطالبات بالمعاملة التي يسمعون الملوك يعاملون بها زوجاتهن، فما كان منه إلا أن يخبرهن بين البقاء والطلاق، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾[2] .

فلو كان هدفه- ﷺ- المتعة والشهوة- وحاشاه- لأجابهن إلى طلبهن حرصا

---

(1)يراجع : تعدد الزوجات فى الإسلام، وحكمه التعدد فى أزواج النبى ﷺ : "دحض شبهات ورد مفتريات" تأليف عبد التواب هيكل. ط: دار القلم بيروت- ط (الأولى) ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م ص ١١٥ وما بعدها.

(2) سورة الأحزاب الآية (٢٨).

على مودتهن، فلا يعكر صفو العلاقة أو يكدرها غيم.

ثم إذا كان هدف الرجل من الزواج المتعة والشهوة، ألا يقبل على الزواج إلا من البكر الحسنة الوجه، الجميلة القد، حتى يذهب عن نفسه ما يجد؟!

أما وإن رسول الله ﷺ لم يبلغ بزواجه من هؤلاء النسوة ما أراده المغرضون؛لأنه رام من وراء زواجه هدفا معينا أراده في وقت الزفاف ،فهل تزوج بخديجة-رضى الله عنها-وهو في الخامسة والعشرين،وهي في سن الأربعين لشهوة أو متعة ؟وهل تزوج بأم سلمة الكهلة المسنّة يوم خطبها بعد وفاة زوجها متأثرا بجراحه في أحد لغرض ووطر يريد قضاءه ؟

إن سيدنا رسول الله ﷺ لم يقدم على الزواج من أى منهن إلا لهدف؛ فقد تزوج (جويرية بنت الحارث) رضى الله عنها- ليعتقها، فيحض المسلمين على عتق أسراهم وسباياهم، و(سودة بنت زمعة) تزوجها حين مات زوجها فى الهجرة فخاف عليها الردة والشرك، و(رملة بنت أبى سفيان) تزوجها وله مقصد نبيل جليل لا يفكر فيه إلا هو-ﷺ- وهو أن يصل بينه وبين أبى سفيان بآصرة النسب عسى أن يهديه ذلك إلى الدين بما يعطف من قلبه ويرضي من كبريائه.

ثم إن من يرمى بهذا السهم يحق له أن يتزوج بالنساء للمتعة والشهوة بما شاء من زوجات شريطة أن لا يجمع بين أكثر من أربعة، أما رسول الله-ﷺ- فقد امتنع عليه بزواجه من هؤلاء التسع عدم التمتع بغيرهن؛ فلا يحل له النساء من بعد، ولا أن يبدل بهن من أزواج، ((إلا أن المشهرين المتقولين نسوا كل حقيقة من حقائق هذه الحياة الزوجية التى سجلت بأدق تفاصيلها، ولم يذكروا إلا شيئا واحدا حرفوه عن معناه ودلالته، ليفتروا على النبى ما طاب لهم أن يفتروه، وذلك أنه جمع فى

وقت واحد بين تسع زوجات))[1].

ونظرا لعظم شخصية الفاروق (عمر)-رضي الله عنه- فقد زادت الافتراءات عليه فكان موضع سهام الطاعنين، وهدفا لتصويب الرامين، فبعض المستشرقين الذين أثنوا عليه وعلى أعماله، قد عرضوا لأمر تفكيره فوصفوه بأنه محدود التفكير[2]، ويأخذ الأمور بقياس واحد.

والحق أن تلك الشبهة ربما طرأت فى ذهن هؤلاء المستشرقين من أبرز ما كان يمتاز به عمر، وينبع من داخله، وهو عدله الذى لا يلتفت ذات اليمين وذات الشمال؛ فهو عدل يشبه السهم الذى ينفذ فيما أمامه من هدف ، ولا يلتفت إلى شىء فى نفاذه أو يعوقه عائق دونه، فهل كان ينظر فى أمر (جبلة بن الأيهم) نظرة أخرى حين أسلم،وهو أمير نصرانى فأسلمت معه طائفة من قومه، ثم وطىء أعرابي إزاره فلطمه (جبلة) على ملأ من حجاج بيت الله، فقضى عمر للأعرابي أن يلطم الأمير على ذلك الملأ.

هل كان للفاروق- من وجهة نظر هؤلاء- أن ينظر تلك القضية نظرة أخرى؟

هل كان يمكن أن يكيل بمكيالين، لأن هذا أمير وهذا أعرابي؟!

والذين أولعوا فى التاريخ بخلق القضايا والمخاصمات والافتراء على الشخصيات العظيمة يقولون: إن (عمرا) كان يتحدى بني هاشم ويناصبهم العداء لعصبية فيه عليهم.

بيد أن هؤلاء لو أمعنوا فى تلك الفرية من خلال أعمال (عمر) وتصرفاته مع

---

(1) عبقرية محمد ص٨٦ .

(2) يراجع: منهج عمر بن الخطاب فى التشريع- دراسة مستوعبة لفقه عمر وتنظيماته- د/محمد بلتاجى- ط دار الفكر العربى- ص ٢٨٠ - ٢٨٣.

بني هاشم لماتت فريتهم فى صدورهم، ولما خرجت قولا يجرى على ألسنتهم للحط من زعامة تلك الشخصية، وإنزالها من مكانها الذى تبوءته عل، ورشقها بالسهام والرماح فتكون كالثوب الذى كثرت فيه الطعنات فخرج عن صورته الجميلة فى العين إلى صورة بالية ممزقة تنفر فيها النفس.

فعندما كان (عمر) يقسم الأعطية كان لآل (النبى) ﷺ النصيب الأوفى والمكان المقدم بين الصحابة؛ فقد كسا أصحاب النبى فلم يجد فى الأكسية ما يصلح للحسن والحسين- رضى الله عنهما- فبعث إلى اليمن فأتى لهما بكسوة تصلح لهما، أيجرى عطاؤه على بنى هاشم بالجور والظلم؟

وحين سافر إلى الشام لم يستخلف من قبيلة إلا بنى هاشم فكان (على بن أبى طالب)، ولم يحجم عن توليتهم الولايات إلا كما أحجم عن تولية جلة الصحابة، ورؤوس قريش الذين أبقاهم عنده للمشورة وصانهم عن محاسبته وعتابه.

٨- وفى مجال إبراز مواهب صاحب الترجمة يعمد إلى مقارنته بغيره حتى يبين مدى التأثر والتأثير على الرغم من اختلاف أوجه المقارنة لاختلاف العصور والأدوات وليبين العظمة حين يقارن بمن يحتفل بهم العالم فيقر لشخصيته بالفضل، ويعترف لها الجميع بقصب السبق.

فقد استخدم العقاد منهج المقارنة لبيان اتفاق واختلاف الطباع من الناحية النفسية فى ترجمة أبى نواس، وتظهر أمثال تلك المقارنات بين (أبى نواس) و (أوسكار وايلد) الشاعر الأيرلندى، فقد كان أشبه الشخصيات النموذجية فى الأدب الغربى بأبى نواس، فلم يعرف القرن التاسع عشر أديبا استهجنت سيرته كما استهجنت سيرة (وايلد) ، وتضاعفت الكتابة عنه بعد شيوع التحليل النفسى والمباحث العلمية فى مسائل الجنس والأخلاق، وقد ابتغى العقاد من وراء تلك المقارنة بين شاعرين يفترقان فى البيئة والزمان، ولكنهما يتفقان فى علاقات

التشابه، دليل واضح على فعل العلة التى يشتركان فيها، فهو اطمئنان إلى المنهج النفسى الذى يأخذ بالشاعرين.

والتشابه بين الشاعرين ينبع من طبيعتهما النرجسية؛ ففى (أوسكار وايلد)[1] تلمح ما كنت تلمحه عند(أبى نواس) من ملامح أنثوية وصوت يمازحه الرخامة وشعر مضفر مرسل، وفيهما يكن حب الظهور ولفت الأنظار وشغل الأذهان، وكما كانت متعة (أبى نواس) أن يعلن التحدي للمجتمع الذى يعيش فيه بما يقترفه من آثام بالمجاهرة بشرب الخمر، والتغزل فى المذكر والمؤنث، كانت لذة (أوسكار) أن يتحدى الرأي العام ويثيره، ويتغنى بفضائل الرذيلة والخطيئة.

وتتجلى نرجسيته التى يأخذه بها علم النفس الحديث كما أخذ بأبى نواس فى غرامه بقصة (نرجس) فى الأساطير الإغريقية، وما كان (وايلد) إلا ناظرا فى أعماق سريرته حين أعجب بقصة (نرجس) لأنها دليل عليه وعلى ما يصدر عنه من أفعال.

وإن كان يتضح من تلك المقارنة أن (وايلد) لم يكن مدمنا للخمر كما كان الحال عند (أبى نواس)، وذلك راجع إلى ما فى طبيعتهما من حب للإثارة ولفت النظر، فإن الخمر لم يبلغ تحريمها فى مجتمع (وايلد) تلك الشدة التى بلغتها فى مجتمع (أبى نواس) ، فلا إثارة فى إعلان حبها عنده كالإثارة التى يتعمدها (أبو نواس) فى إعلان حبها.

وربما نبع هذا من أن عوامل الإقبال عليها لم تكن متاحة لـ (وايلد) حتى يدمنها عكس (أبى نواس) الذى كان يعيش فى ضعة من النسب، ومذلة فى العيش، وفقر شديد، تلك العوامل التى دفعته إلى الخمر ينسى بها نفسه،ويظهر بها بذخه فى إقباله عليها، وإنفاق ماله من أجلها، أما (وايلد) فكان شريفا لا يشكو من عقدة

(1) يراجع: حكايات اوسكار وايلد- أوسكار وايلد- روايات عالمية للجيب (٤٤) ترجمة: د/أحمد خالد توفيق- ط المؤسسة العربية الحديثة- صـ٥ – ٨ .

النسب؛ لأنه من سلالة النبلاء، ولا يشكو من سوء الغذاء لأنه من الأغنياء.

وفى ترجمة (جميل بثينة) نظر العقاد إلى عصر الشاعر؛ فإذا هو عصر الغزل والعشق، ولما أمعن النظر، رأى الغزل ضربين: ضرب عذري لجميل ومدرسته، وضرب حسي لعمر بن أبى ربيعة ومدرسته، فرأى من مقتضيات البحث أن ينظر فى شعر الشاعرين يرى سمات كل مدرسة بما يميزها عن الأخرى، وأين مواطن تفوق أبنائها؟ وما الأدوات التي تمكنهم من التفوق وتدل عليهم؟

يقول العقاد:

(ولا نحسب أن أحدا نظر جميلا على قصد منه أو على غير قصد كما ناظره عمر بن أبى ربيعة الذي كان كثيرا يستطيل عليه)[1].

ولو نظرنا إلى منهج تلك المقارنة أو المناظرة وجدناها متحققة من عدة أبواب لا من باب واحد، فكلاهما شاعر، وكلاهما مشهور بالنسب، وكلاهما إمام لأمثاله من المتغزلين؛ فكان (جميل) فى عصره إمام مدرسة العشاق المقصورين على معشوقة واحدة، وكان (عمر) إمام مدرسة العشاق المشغوفين بمغازلة النساء، وكانا من ناحية أخرى متقابلين فى تمثيل البداوة، وفى عزة النسب وعراقة الأصول.

أ- ومن ثم فقد تلاقى الشاعران فى بعض المعاني:

فإذا قال جميل:

إذا خدرت رجلي قيل شفاؤها ∴ دعاء حبيب كنت أنت دعائيا[2]

(1) جميل بثينة- العقاد- سلسلة اقرأ- ط: دار المعارف- ط(السادسة) ص٨٥ .

(2) ديوان جميل بثينة- ط دار بيروت- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص٤٨ .

فقد قال عمر:

إذا خـــدرت رجلـــي أبـــوح بـــذكرها ∴ ليذهب عن رجلى الخدور فيذهب[1]

ومن قصائد جميل المشهورة رائيته التى مطلعها:

أغـاد أخـيّ مـن آل سـلمى فمبكـر ... أبـن لـى: أغـاد أنـت، أم متهجـر(٢)

هو كمطلع عمر فى رائيته التي هى أفضل شعره:

أمـــن آل نعـــم أنـــت غـــاد فمبكـــر ... غـــداة غـــد أم رائـــح فمهجـــر(٣)

فالمأخوذ من هذا الشعر أن (جميلا) كان يحاكى (عمر) فى بعض ما يقول، ولكـن لـيس معنـى هـذا تفـوق (عمـر) علـى (جميـل) فـى الصـناعة الشـعرية، فهمـا متكافئان يختلفان حيثما اختلف المزاج والخليقة، ولا يدعو ذلك لتفضيل أحدهما على الآخر فى الصناعة الشعرية.

وقد يحمل هذا الاقتباس على حب البدوي لأن يقتدي بالحضري مثلما نرى فى هذا العصر الحديث، فكلما كان الحضرى مقبولا كان ذلك أدعى إلى تمثله ومجاراته، ومن ثم يتضح هذا الأثر فى شعر جميل العذرى فى الغزل، فنتيجة لهذا

(١) ديوان عمر بن أبى ربيعة- قدم له د/ فايز محمد –ط دار الكتاب العربي- ط (الثانية)- ١٩٩٦م- ص ٣٩ .

(٢) ديوان جميل بثينة ص٢٧ .

(٣) ديوان عمر بن أبى ربيعة ص١٢٢.

الامتلاء وحب المتابعة لعمر كان شعره غير منقطع لخشونة البادية فتراه رقراقا عذبا فياضا.

ب- وقد خرج الشاعران بالغزل إلى جميع أرجاء المعمورة فحملا مهمة بعثه، وإحيائه، ونمائه، وإثرائه إلى كل مكان يتلهف للحب ويتطلع للغزل، ويتشوق للصبابة والمنادمة، فلو زال شعر الغزل من تلك البيئة فى ذلك العصر جميعا فلم يبق إلا شعر الشاعرين لأغنانا عن كل ما عداه فى الدلالة على حالة المرأة وحالة النساء كما ينعتها العاشق (جميل)، وزير النساء (عمر).

ج- وقد يبدو على شعر (جميل) إذا قوبل بشعر (عمر) أنه أفحل وأجزل، وأبلغ فى الصناعة الشعرية، وما ذلك إلا لتفزع (جميل) وجديته فى عشق امرأة واحدة، وهى (بثينة) يعيرها كل قلبه وهواه، ولكن لا يظهر مثل هذا الجد فى شعر الرجل الذي يقضى زمانه كله فى التحدث إلى النساء، والتنقل بينهن، وقل ألا يسرى التأنيث إلى كلامه لكثرة المخالطة، وغلبة التطبع، فتتوارى قوة الفحولة التى تقترن بالجد حيث كانت.

د- ويتضح من السمت العام أو المظهر الذى كان يغلف علاقة الشاعرين بالمرأة أن (جميلا) شاعر بدوى، يحتاج البأس والسيف كما يحتاجه قومه فى الدفاع والحماية، فإذا كان هو رجل شغوفا بامرأة واحدة ثم حيل بينه وبينها فلابد له من السيف، ولا غنى له عن المجازفة والاقتحام، واستخدام القوة سبيلا يصل منه إلى غايته وهدفه، ومن ثم لما هدده السلطان لم يرتدع، وظل يداوم على الذهاب إلى (بثينة) فى منازلها على الرغم من حالة الغضب والهياج العام، وأما (عمر) فلم يكن فيما روى عنه أنه احتاج إلى القوة مرة؛ بل إنه تعرض فى بعض المواقف لأنه يطارد امرأة حسناء، ويمعن فى التوسل إليها فترده ثم ظهر معها رجل من أوليائها يتقلد السيف فتجاهلهن (عمر) ومضى فى طريقه.

على أن هذا لم يكن من ذاته أو بدافع من داخله، فالرجل يعيش فى الحاضرة، وربما مرت حياته كلها، ولا تلجأه الضرورة إلى حمل السلاح أو تقلد السهام، ومن ثم فهو فى معظم جولاته طالب جلسة ومحادثة إن تيسرت فهي فكاهة ساعة ثم تنقضي فيسجلها شعره، وإن تعسرت فلا موضع للسيف فى هذا الميدان، وغير هذه الحسناء كثيرات بين الحسان.

٩- وضوح منهج الاستقراء والتأمل فيما وراء الحدث، ليدعو إلى تحريك العقل ليتبين قدرته على الحكم السليم فيما يعرض عليه من أشياء بالصحة أو البطلان أو بالرفض أو القبول.

أ) من ذلك هذا الكتاب الذي أعطاه الرسول- ﷺ- لعبد الله بن جحش، وجعله على رأس سرية استطلاع خلف خطوط العدو، وأمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين، وفحواه أن (سر حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركاته، لا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك، وامض فيمن تبعك، حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها عبر قريش، وتعلم لنا من أخبارهم)[1].

فهذه الرواية دعوة إلى عقل المرء أن يتدبر فى أحداثها وفحواها ويتساءل فيما بينه وبين نفسه، لماذا أحاط النبي- ﷺ- أمر الكتاب بالسّريّة حتى عن قائد السرية؟

وتأتى الإجابة من العقل بأنه لم يكن يستبعد أن يكون منهم من هو مدخول النية (عينا) عليه وعلى أصحابه من قبل قريش، ولا يبعد أن يكون منهم من يبوح بالخبر، ولا يريد به السوء أو يدرك به السوء؛ أو يدرك ما فى البوح به من الخطر المحظور، ولا يبعد أن يكون منهم الضعفاء والمخالفون.

([1]) يراجع :زاد المعاد فى هدى خير العباد- ابن قيم الجوزية- تحقيق: شعيب الأرناؤط- عبد القادر الأرناؤط-ط مؤسسة الرسالة- بيروت- ط (الثالثة). ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨- الجزء الثالث- ص١٥٠ .

ألا تتداعى تلك الأسئلة على العقل، وتتوالى عليه حين يقرأ المرء سرية هذا الكتاب وكتمه؟ ثم ألا تأتى الأسئلة وتتوالى عن عدم إكراه أحد من السرية على المسير بعد معرفته بوجهته؟ لماذا لا ينخرط الجميع فى أداء تلك المهمة كما يحدث فى العصر الحديث حين تصدر الأوامر فتكون واجبة التنفيذ؟

عندما تأتى الإجابة بأن الرجل قد يحارب وهو مكره مهدد بالموت الذى يتقيه إذ يفر من القتال، ولكنه لا يستطيع وهو مكره، بل لعله ينقلب إلى النقيض فيحرف الأخبار عمدا أو يتلقاها على غير اكتراث أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم غافلون عنه.

ب) والعقاد يدعونا لتحريك العقل وعدم قبول الأمر على علته، وقبول كل ما يلقى إلينا دون مراجعة أو تمحيص أو إعمال للعقل، وذلك على نحو ما ادعى البعض بأن وصول (أبى بكر) -ﷺ- إلى الخلافة كان مؤامرة بين عائشة وأبيها، أو بين رجال ثلاثة هم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وقد أعانتهم (عائشة) على ما تأمروا فيه.

هنا يدرب العقاد أذهان قارئيه على البحث فى كل ما يعرض عليهم، ويلقى على أسماعهم أو تقع على سطوة عيونهم.

فبالنظر إلى أحوال (عائشة) وتصرفاتها يوم وفاة النبى-ﷺ- نرى أن ما ألحق بها محض وكذب وافتراء؛ ففى مرض الرسول-ﷺ- نادى من كان معه بأن يأمروا (أبا بكر) ليصلى بالناس، فراجعته أم المؤمنين مرة بعد أخرى، لأنها ربما أشفقت أن يتشاءم الناس برؤية أبيها فى مقام يذكرهم بالخطر على أحب الناس إليهم فى ذلك المقام، وربما كان ذكاؤها غالبا عليها فى الإبطاء بنقل رغبة النبي ﷺ إلى أبيها بإمامة الناس، فيكفى أن نستحضر اليوم ما قيل عن الخلافة بعد النبى -ﷺ- فقد قيل فيها الكثير ما ليس يخطر على بال أحد إلا أن يجمح به التعنت والاعتساف أغرب

جماح.

وأما عن الآخرين فقد توفى النبى-ﷺ- وليس فى أصحابه الأقربين من كان يتوقع وفاته، فتركه (أبو بكر) بعد الصلاة لأمر أذن له فيه النبى، وأما (عمر) فقد دهش لنعى (النبى) ﷺ- تلك الدهشة التى لم يكن لها على أهبة، ولو كان مستعدا لها لأكد الوفاة ولم يستغربها.

وأما (أبو عبيدة) فالتقى (عمرا)، و(أبا بكر) مصادفة على الطريق، إذن فمتى كان التفاهم المزعوم؟! أقبل أن يمرض رسول الله-ﷺ- يعقل أن يجتمع صفوة أصحابه التآمر على وراثته واغتنام موته؟ إن جاز هذا كما قد يدعى البعض، فمن أدراهم أن القرآن لا يوحى فى الخلافة بغير ما ارتأوا؟ ومن أدراهم أن النبى-ﷺ- لا يعهد بالخلافة من بعده لواحد غيرهم.

إذن فقد كان الصديق (أبو بكر)-رضي الله عنه- حريا بأن يتبوء مقعد الخلافة لرسول الله-ﷺ- فهو أول أمير للحجج بعث به النبي وهو فى المدينة، وقد أثبت البخارى- رحمه الله- عن محمد بن جبير بن مطعم "أن امرأة أتت النبى-ﷺ- فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك.. كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر"[1].

من هنا يغلب على اعتقادنا أن النبى-ﷺ- ترك أمر الخلافة بغير وصية لأنه علم أن الخلافة منتهية إلى مثل ما انتهت إليه، ولاسيما بعد تقديمه (أبا بكر) للصلاة بالناس، فلقد كان (أبو بكر) الخليفة الأول، لأنه كان الصديق الأول، ولأن شروط الخلافة التي اجتمعت له لم تجتمع لأحد غيره، وليس له منازع فيها بين أهل

(1) ينظر: صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري- ط: دار ابن كثير- دمشق- ط الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م- كتاب فضائل أصحاب النبى-ﷺ- حديث رقم (٣٦٥٩). ص ٨٩٩ .

عصره.

ج) ومن ذلك أيضا تأخر حمل السيدة (عائشة)-رضي الله عنها- على الرغم من أن النبي-ﷺ- قد مات عنها، وقد بلغت العشرين، والمشاهد عندنا من الدلائل أن المرأة قبل هذا السن وتلد، فما الذي أدى إلى عدم حمل السيدة عائشة؟ وما العوائق التى منعتها من ذلك؟

(والعوارض التى نستطيع أن نهتدى إليها فى تاريخ السيدة عائشة هى أنها أصيبت فيما دون العاشرة يحمى مزقت شعرها- كما ذكرت هى فى بعض أحاديثها- وأنها كانت توعك من حين إلى حين كما يفهم من قولها فى حديث الافك) [1].

إذن فهذا العرض هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى تأخر حمل السيدة (عائشة) قد يكون بمفرده، وقد يضاف إليه من الأسباب ما يساعده فى تحقيق المنع وعدم الحمل، والحمى تلك التي تسقط الشعر تعرف فى الطب الحديث بـ (الملاريا).

١١- وضوح المنهج النفسي والاعتماد على تحليلاته لتجلية كثير من الأمور.

يقول العقاد:

(ولقد علم القارىء من فصولنا السابقة أننا لم نكتب هذا الكتاب لشرح الأصول الإسلامية، وتفصيل محاسن الدعوة المحمدية، فذلك غرض لا تتسع له هذه الفصول، وليس لنا أن نتصدى له بعد من فصلوه وكرروا الكتابة فيه.

وإنما نقصد بهذه الفصول إلى غرض قدمناه على كل غرض فى موضوعه،

(1) الصديقة بنت الصديق ص٧٨.

وهو بيان البواعث النفسية التى توحى إلى النبى ﷺ- أعماله ومعاملاته)[1].

ومن ذلك :

أ) خروج النبى- ﷺ- ليحج فى عهد الحديبية، وما يمكن أن يستشف من وراء هذا العمل على الصورة التى أخرجها عليه الرسول من خلال المنهج النفسى، وما كان يدور فى باطن النبى -ﷺ- ودخيلته. فقد بدأ الرسول-ﷺ- بالدعوة إلى الحج، بيد أنه لم يقصره تلك السنة على المسلمين المصدقين لرسالته، بل شمل كل من أراد السعي لتعظيم البيت، وإذا تتبعنا خيطا نفسيا نصل منه إلى الحكمة الفلسفية التي أرادها الرسول ﷺ- من وراء ذلك يمكننا القول بأنه- عليه الصلاة والسلام- أراد بذلك أن يجعل قضيته مع العرب صفا واحدا فى وجه قريش، ومصلحة واحدة فى وجه مصلحتها، ثم هو من ناحية أخرى أراد أن يفسد على قريش ما تعمدوه من إثارة نخوة العرب، والعمل على جمعها فى صعيد واحد ضد (محمد) ﷺ- ودعوته وأصحابه؛ فليس (محمد) وصحبه بمنأى عن نخوة العرب يضعون من شأنها ويبطلون مفاخرها.

وهو أخيرا قد أفسد على قريش ما تعمدوه من إغضاب العرب على الإسلام بما ادعوه من قطعه للأرزاق، وتهديده للأسواق التي يعمرها الحاج، ويستفيد منها الغادون إلى مكة، والرائحون منها، فها هو (محمد) يأخذ معه من شاء إلى الحج، فإذا حال بينهم وبين ما يقصدون إليه فتلك جناية، وذلك وزره على نفسه، وعلى قومه.

ب) ولا ينتهي بنا العجب حين ننظر في أمر رجلين عظيمين بين عظماء المسلمين فى أمر ردة من ارتد، وأبق عن دين الإسلام وخلع عباءته، وهما الشيخان (أبو

---

(1) عبقرية محمد ص١٠٢ .

بكر وعمر)- رضى الله عنهما- فإذا قدر لهما أن يتفقا مقصدا، ويختلفا رأيا، فقد كان المظنون أن يتجه عمر إلى جانب الشدة، وأن يتجه (أبو بكر) إلى جانب اللين، فجاء اختلافهما على غير المظنون.

وصفوة ما يقال فى تفسير هذه العجيبة، أن المعهود من أخلاق الإنسان ليس هو الإنسان كله، بل فى الإنسان شىء كثير مما ليس يعهده الناس فى عامة أحواله، وأن هذا الخلق المعهود على وجوه كثير بعضها موافق للمتبادر إلى الذهن، وبعضها لا يوافق إلا بعد بحث وروية.

فالشدة فى (أبى بكر) موجودة تظهر فى مناسباتها، واللين فى (عمر) موجود يظهر فى مناسباته، ولو تتبع كل منا خيطا نفسيا بداخله، ووضع نفسه شاهدا على تلك الصورة، وهذا المشهد لجاز لكثير منا القول بالمسالمة، والترك حتى حين، فإذا لم يتب هؤلاء المرتدون فعدة وقتال يومئذ أعظم وأشد، ولجاز للكثيرين القول بالقتال والحرب حتى نقضى على الفتنة فى مهدها، ونئد غاية أمل أصحابها فى نفوسهم وضمائرهم، فلا تسول نفس، وتحدث صاحبها بالخروج على الجماعة وشق عصا الطاعة.

ج) ومن الأمور التى دعا العقاد إلى البحث عن دوافع صاحبها النفسية ما جاء عن السيدة (عائشة) –رضي الله عنها- من خطأ ارتكب فى حقها فى عهد (عثمان بن عفان)-رضي الله عنه- (جاء هذا الخطأ فى هذه السياسة من القائمين بالأمر فى حكومة عثمان، وكان خطأ عجيبا حقا، لأنه لا يفهم على وجه من وجوه المصلحة، ولا تدعو إليه ضرورة من ضرورات الدولة، ونعنى به نقص العطاء الذي كان مقدورا للسيدة عائشة فى عهد الفاروق، أعدل من لاحظ العدل فى تقسيم الأعطية على حسب المراتب والحقوق) [1].

(1) الصديقة بنت الصديق ص١١١ .

فقد غضبت السيدة (عائشة) من نقص هذا العطاء،فلماذا غضبت مع أنها كانت تنكر المزيد من الثراء على الصحابة الأجلاء ،وإن كانت هذه الزيادة نتيجة عرق ومجهود من تجارة أو آل إليهم هذا المال من طريق الحسب والثروة الموروثة؟

إن هذا الغضب له دافع نفسي تحرك فى داخل السيد (عائشة)- رضي الله عنهما- نعم هى كانت تنكر هذه الزيادة ولا زالت الدولة ناشئة تعتمد فى ميزانيتها ومواردها على ما تقدم أبناء تلك الأمة من الأثرياء فى الإنفاق، والإعتاق، وتجهيز الجيوش، أما وقد آلت حالة الدولة فى عهود الخلفاء إلى غير ما كانت عليه فى عهد الرسول ﷺ ومقبولا عندها، وعن المسلمين إذا دعت إليه حاجة فى خزانة الدولة، ولكن أن تتدفق الأموال أنهارا يحار الإحصاء فى عدها على تلك الخزانة، فيعطى خمسها لبنت الخليفة وزوجها مروان بن الحكم، وغير ذلك من القطائع والأعطية التى يخص بها القريبات والقريبون، ولا يضبط لها حسابا، فإن هذا مما يحرك النفس بالغضب، ويكون تفسيره من تلك الناحية سائغا مقبولا.

د) وأما فى ترجمة (أبى فراس)، فإذا نظرنا إلى لون من الألوان الشعرية التى تنظم فيها، وهو باب الطرد ووصف الصيد، نجد أن (أبا نواس) قد اتجه إليه بدافع نفسى من نرجسيته، وذلك ليبين القدرة على النظم فى باب لم يكن يحبه، ولا علاقة له به.

(فإنه ، وإن صاحب الصيادين على ما يظهر فى بعض شعره، لم يؤثر عنه أنه كان يحب الطرد والصيد، ذلك الحب الغلاب، وإنما نظم فيه ليعرض قدرته على النظم فى هذا الباب، فاختار أكثر طردياته من الرجز، وهو الوزن التقليدي عند الشعراء)[1].

إن الفنون التى جالت فيها قريحته، وتفتقت عنها عبقريته الشعرية تكمن فى

(1) أبو نواس ص١٢٦- ١٢٧ .

نزوعها عن المذهب النفسي الداخلي الذى كان (أبو نواس) يدور فيه، ولذلك تتلاقى فى شعره الزندقة بالنسك، ويتلاحق عزل المذكر وغزل المؤنث، ويمتزج الجد بالهزل.

فلولا أن الشاعر (رؤبة بن العجاج)[1] قد أغرب فى رجزه، ولولا أن الطرد ينظم فى الرجز، ولولا أن (أبا نواس) قد حفظ الغريب، وأحب أن يعرضه فلم يجد لعرضه بابا غير هذا الباب لما ألح على هذا الباب، ووقف عليه يدق بقوة.

وقس على ذلك غزله بالمذكر والمؤنث فيبدو لك من أشعاره سر هذا الغزل بالنوعين وتأنثه في صباه ومبالغته ودعواه إلى التغزل فيهما، وهو شذوذ الطبيعة النرجسية التي مكنتها فيه بيئته من أهل وعصره ومعاشريه.

١٢- موقف شخصية الترجمة من الجو الثقافي.

أ) كان للرسول ﷺ- أراءه النقدية فى بضاعة العرب الأولى، وهى الشعر والنثر؛ فهو لم يكن بمعزل عن المحيط الذى يعيش فيه، وما كانت تقوم عليه حياتهم، حيث كان الأدب أحد الدعائم والركائز الأساسية فى البيئة العربية، وكلنا يعلم مقدار هذا الأدب فى نفوسهم، والمنزلة التى هو عليها فى حلهم وظعنهم، فى حربهم وسلمهم، وفى كل شئون حياتهم، منزلة سامية ودرجة عالية.

فكان-ﷺ- يكره سجع الكهان الذى يخضعون به السامع ليوهموه أنه يستمع إلى طلاسم السحرة والشياطين، ولكنه لم يكن يأبى السجع بتة ولا يخلو كلامه من سجع يأتي على السجية؛ فسجعه- عليه الصلاة والسلام- كحلية الذهب يليق بالرجل أن يتحلى بها ولا مزيد.

---

(1) شرح ديوان رؤية بن العجاج- لعالم لعوى قديم- تحقيق د/ضاحى عبد الباقى، مراجعة د/ محمود مكى ط مجمع اللغة العربية-ط (الأولى) . ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١- الجزء الأول المقدمة صـ(ح) وما بعدها.

"وقد نقلت إلينا تعقيبات معدودة عن النبى فى الشعر والشعراء لا تدخل فى النقد الفنى، وتدخل فى كلام الأنبياء الذين يقيسون الكلام بمقياس الخير والصلاح، والمطابقة لشعائر الدين وسنن الصدق والفضيلة، ومنها قوله: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، وقوله عن امرىء القيس: (إنه صاحب لواء الشعراء فى النار).. وكان إذا نطق بقول سحيم عبد بنى الحسحاس: (كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا)، قدّم كلمة الإسلام... وقد استحسن ما قيل فى الشعر فى النصح عن الإسلام، والذود عنه وعن آله، وكانت آراؤه هذه وشبيهاتها آراء الأنبياء فيما يحمدون من كلامهم لأنهم قد بعثوا لتعليم الناس دروس الخير والصلاح، ولم يبعثوا ليلقونهم دروسهم فى قواعد النقد والإنشاء" [(١)].

ب)وأبو بكر ليس بدعا فى هذا؛ فهو أحد أبناء العربية الذين كانت جل حياتهم تقوم على الكلمة سواء المنثورة أو الموزونة؛ فكان طبعيا أن يجرى على وتيرة قومه فى البيان إبداعا وتمثلا ومخالفة، فكان الصديق -رضي الله عنه- مع الصدق وحماسة العقيدة بليغا متذوقا للبلاغة، كثيرا لرواية للشعر والاسترواح للكلام الحسن الفصيح[(٢)].

فالصديق كان أحرص الناس على الكلام يبدر من لسانه، ويقيس كل إنسان بموضع كلامه فيعرف منه مروءته وشرفه أو نقيض ذلك، ومن السهل على من يملك هذا البيان أن يتبع شواهد البيان فى كلام الآخرين لأن طبع عليه وطبع على حبه.

---

(١) ينظر: عبقرية محمد ص٥٩ .

(٢) يراجع: مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية- موقف الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة من الشعر- د/جاسم خلف صالح- المجلد(١٦) العدد (١٢) كانون الأول (٢٠٠٩م) صـ٩٧-٩٨.

(ولهذه الثقافة مراجعها التى يرجع إليها أفضل ثقافات زمانه فى الجزيرة العربية، طبع سليم، وملاحظة صادقة، وخبرة بالدنيا من طريق المعاملة والسياحة، وإصغاء إلى الحسن من القول، والوثيق من الأخبار، وعلم بالأنساب والتواريخ، واستيعاب للقرآن كله، ولفقه الدين كله)[1].

ج) وكان (علي) -رضي الله عنه- ينظم الشعر ويحسن النظر فيه، وكان نقده للشعراء نقد عليم بصير يعرف اختلاف مذاهب القول، واختلاف وجوه المقابلة على حسب المذاهب، ولكنه- كما ورد عن الباحثين- لم يرزق مع ذلك ملكه الإجادة فى شعره[2].

وفى كتاب (نهج البلاغة) فيض من آيات التوحيد تتسع دراسته لكل من يريد، ومنه تبغي الهداية الأولى فى التوحيد الإسلامي، والقضاء، والفقه الإسلامي وعلم النحو، وفن الكتابة العربية، مما يجوز لنا أن نسميه أساسا صالحا لموسوعة المعارف الإسلامية فى جميع العصور، وقد تم شرح هذا السفر المبارك فى واحد وعشرين مجلدا[3].

كما كانت للإمام -كرم الله وجهه- دراية واسعة بعلوم الحساب الذى كانت معرفته به أكثر من معرفة فقيه يتصرف فى معضلات المواريث؛ لأنه كان سريع الفطنة إلى حيله، التى كانت تعد فى ذلك الزمن ألغازا تكد فى حلها العقول، فيقال: إن امرأة جاءت إليه، وشكت أن أخاها مات عن ستمائة دينار، ولم يقسم لها من

---

(1) عبقرية الصديق ص١٠١.

(2) يراجع: ديوان أمير المؤمنين على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)- شرحه: د/عمر فاروق الطباع- ط دار الأرقم بن أبى الأرقم- لبنان- صـ٨- ١٠.

(3) ينظر: كتاب شرح نهج البلاغة- ابن أبى الحديد المدائن- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار الجيل- بيروت- ط الثانية – المجلد الأول- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م- صـ٣-٦.

ميراثه غير دينار واحد؛ فقال لها: لعله ترك زوجة وابنتين وأما واثني عشر أختا. وأنتِ؟ فكان كما قال[1].

وعلى هذا فثقافة الإمام هى ثقافة العلم المفرد، والقمة العالية بين الجماهير فى كل مقام، وإنها ثقافة فارس يجمع بين القلم والسيف.

١٣- وفى النهاية يضع العقاد شخصية صاحب الترجمة فى الميزان ليبرز ما قام به، ويرشد إلى عظمته غير المنكورة فى التاريخ، وليقيم أعمالها، ويحكم على أفعالها ويحاسبها عليها.

أ) فإذا كان (سيدنا محمد)ﷺ- عظيما ، فما مكان هذه العظمة فى التاريخ؟ وما مكانها فى العالم وأحداثه الباقية على تعاقب العصور؟

فمكانها فى التاريخ؛ إن التاريخ كله بعد (سيدنا محمد) ﷺ- متصل به، مرهون بعمله، وأن حادثا واحدا من أحداث التاريخ لم يكن ليقع فى الدنيا كما وقع لولا ظهور (سيدنا محمد) وظهور عمله.

فلا فتوح فى الشرق والغرب ولا حركات أوربا، ولا الحروب الصليبية، ولا نهضة العلوم بعد تلك الحروب، ولا كشف القارة الأمريكية، ولا مساجلة الصراع ولا الثورات، ولا الحوادث القومية أو العالمية مما يتخيل ذلك جميعه كانت واقعة فى الدنيا كما وقعت لولا ذلك (اليتيم) الذي ولد فى شبه الجزيرة العربية؛ فكأن التاريخ كان سيكون شيئا ثم أصبح شيئا آخر بمحمد وأفعاله وأقواله وخلاله.

ب- وفى عبقرية (الصديق) نرى العقاد، وهو بذكر المثالب والعيوب التى وقعت من صاحب الترجمة نراه هنا يدافع عنه ولا يذكر الخطأ وحسبه ويشير إليه فقط،

---

(١) الرياضيات ما قبل جبر الخوارزمي، المنسوبة إلى الإمام على بن أبى طالب د/عباس على مجلة (دراسات تربوية) العدد (١٧) بغداد- كانون الثاني ٢٠١٢م- صـ٦٤- ٦٥.

إنما يذكر الدوافع والأسباب وراء هذا العمل.

يقول العقاد:

(جرى حكم الصديق كله على هذه السنة من الرفق والصدق، ومن اليقظة والحزم، ومن الكيس والفطنة، لم تؤخذ عليه إلا بادرة واحدة هي إحراقه الفجاءة فى ساعة من ساعات الحدة التي كان يغالبها جهده غلبته مرة فى عقاب هذا اللص الخاتل السفاح) [1].

فالعقاد قد التمس لصاحبه العذر؛ لأن الفجاءة قد استثاره بكل ما يثيره ويذهب بحلمه ورفقه.

يقول العقاد فى موقف المدافع عن أبى بكر:

(ومهما يكن رأى الأقدمين أو المحدثين فى هذا الحادث؛ فالخطأ الذي لا جدال فيه أن ندين الإسلام كله، أو أن ندين به أبا بكر فى جميع حالاته؛ ففى كل عصر تقع الحوادث من أشباه هذا الحادث المفرد، ولا تحسب على دين أو دولة سواء فى العصر القديم أو العصر الحديث) [2].

ومن باب الإنصاف، والأمانة العلمية:

أن رواية إحراق سيدنا أبى بكر الصديق-رضي الله عنه- الفجاءة رواية باطلة مدار سندها على (علوان بن دَاودُ البجَلى) وهو رجل مطعون فى روايته.

قال الحافظ بن حجر فى لسان الميزان: "قال البخارى: علوان بن دَاودُ ويقال بن صالح منكر الحديث.

كما علق الحافظ نور الدين الهيثمى فى مجمع الزوائد على هذه الرواية بقوله:

---

(1) عبقرية الصديق ص٩٠ .

(2) عبقرية الصديق ص٩١.

"رواه الطبرانى، وفيه علوان بن داود البجلى وهو ضعيف وهذا الأثر مما أنكر عليه.

وروى العقيلى فى (الضعفاء الكبير) عن يحيى بن عثمان أنه سمع سعيد بن عفير يقول: كان علوان بن داود زاقولى، من الزواقيل، وهم اللصوص.

فكيف ينقل رواية عن لص، ويهرول بها إلى اتهام سيدنا أبى بكر الصديق- ﷺ- بحرق رجل حيًّا ؟!!

وهى روايات يروج لها بعض الشيعة فى معرض التشنيع على الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم[1].

ج- ومن ذلك أيضا موقف (عمر بن الخطاب) من (نصر بن الحجاج) فقد كان جميلا مليحا تهفو إليه قلوب العذارى، وتنزع إليه شهوات النساء، فهتفت باسمه امرأة ، وتمنت أن تشرب الخمر وتلقاه، فأرسل إليه يستطلع تلك الشخصية التى تهتف من أجلها امرأة، (فقال عمر: لا يسكن معى رجل تهتف به العوائق فى خدورها، وزوده بمال، وأرسله إلى البصرة ليعمل فى تجارة تشغله عن النساء، وتشغل النساء عنه)[2].

ولكن انظر إلى العقاد يقول فى الدفاع عن فعل عمر:

(ولكن فى سبيل مصلحة أكبر وأتقى، أو فى سبيل مصلحة يرعاها الحكم العسكري فى أزمته كزمان عمر، ويقضى فيها بما هو أعجب من إقصاء نصر بن حجاج... ولسنا نقول إنه حكم فيه بتلك الصبغة العمرية التى سميناها مفتاح

---

(1) يراجع: مرويات تحريق أبى بكر للفجاءة السلمى جمعا ودراسة- إسماعيل سعيد رضوان مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية- غزة - المجلد الثالث عشر- العدد الثاني يونيو ٢٠٠٥م صـ٢١١- ٢٥٩.

(2) عبقرية عمر ص٥١ .

شخصيته) [1].

ولكننا نقول: ألم يكن من الجائز أن يقيم (عمر) الحد على تلك المرأة فتكون زاجرا لغيرها إذا ما أقدمت أو همت على أن تفعل فعلها؟

لا نريد أن نقول : إن العقاد قد وقع أسيرا فى هوى شخصياته أو ما يعرف بعبودية صاحب الترجمة، فما يحتاج إلى تدليل سليم على خطأ، غير ما يظهر فى احتياجه إلى حكم آخر.

د- ومن المآخذ التى أخذها الدكتور/ طه حسين على (جميل بثينة) ما رآه عيبا فى حب (جميل بثينة) حين غدر بها مرة، والغدر لا يمكن أن يصدد عن حبيب عذري، كما يفهم من تلك القصة التي زعمها آل بثينة فى أنه لا ينسب بابنتهم وإنما بأمة لهم، فغضب (جميل) وأرد أن يكذب ذلك، فواعد (بثينة) واحتال حتى نامت فتركها للصباح حتى يراها الناس، فلم يشكّو فى أنها كانت معه.

يقول العقاد:

(فتقدير الدكتور هنا لحب جميل، وما ينبغى أولا ينبغى لمثل حبه هو الذى أظهر التناقض فى هذه القصة وجنح به إلى تكذيبها.

أما إذا أحذنا بتقدير غير هذا التقدير فلا تناقض ولا موجب إذن للتكذيب، وعندنا نحن أن حب جميل لا يمنع أن يعرضها لتلك الفضيحة لأنها لا تتجاوز معنى قصيدة من القصائد الكثيرة التى تغنى فيها بحبها ولقائها ومناجاتها، ثم أرسلها فى أفواه الرواة تطوف البادية والحاضرة حيث قدر لها المطاف) [2].

فالعاشق قد يحتمل النكبة الفادحة، ولا يحتمل الغض من مكانته فى نفس

---

(1) السابق ص٥١.

(2) جميل بثينة ص٤٧- ٤٨.

معشوقه ، ثم أليس من حقه أن يثور لكرامته؟

إن الرجل الذى يشغله النسيب هذا الشغل الشاغل تغيم نفسه، ويكدر صفوه أن يقال: إنه يتغزل بأمة شائهة، وهو مسلوب العقل فى هواها.

أليس دافع ذلك نفسى لبيان من التى يحب ويهوى، أهى الجارية أم السيدة ؟ أهى التى يعشق أم التى يعشقها من كان على شاكلتها وضربها؟

ولكننا نقول: ألم يكن (جميل) هو الذى ضيع (بثينة) بنسيبه فيها؟ أيضيعها فى الأولى ثم بتلك الخدعة والمكيدة التى لا تضيرها- فى رأيه- فى سبيل كرامته، وكرامة هواه، وكرامة نسيبه، وكرامة أهله؟!

١٤- ومما تنفرد به الشخصيات الأدبية عن الشخصيات الإسلامية، مجىء تلك التراجم على المنهج النفسى، واعتماد الكاتب عليه فى تحليل شخصية أبى نواس، وكل ما عرض له على المنهج النفسى.

وإذا أخذنا مثالا ودليلا مما حواه الكتاب من موضوعات نجده فى اتجاه (أبى نواس) الخمري، وعكوفه على معاقرتها واتخاذ الندماء الأصفياء لمجالسها.

وربما اتجه (أبو نواس) تلك الوجهة الخمرية نتيجة للعصر الذى كان يعيش فيه، فقد كان معترك الأنساب والأحساب بين الجميع فى ذلك الوقت، فقد هب فيه الشعوبيون يفاخرون العرب، ولا يعترفون لهم بفضل إلا النبوة، وكان العرب أنفسهم يتنازعون الفخار بين القحطانية والعدنانية، بل كان أبناء البيت النبوي من علويين وعباسيين يتنافسون على شرف النسب والفخر بالانتساب إلى عم النبي- عليه الصلاة والسلام- أو فاطمة الزهراء- رضي الله عنها-.

ولا تكاد تسمع من شخص فى ذلك العصر إلا افتخر بنفسه وعزا إلى نسبه يعول عليه، ويتخذ منه المدد فى السبق والعون فى الانتصار، وأما (أبو نواس)

فيشعر بالضعة والمهانة فى نسبه ومن ثم تراه يعمد إلى النسب العربى يفخر تارة بتلك القبيلة اليمانية، وأخرى يفخر بالقحطانية، بل تراه أحيانا يفر من ضعة نفسه بشرف الانتساب إلى آدم أبى البشرية، بل ربما تشبث بكنيته، وترك اسم أبيه فرارا من ضعة هذا النسب واحتقاره.

إن (أبا نواس) ولأجل تلك الأسباب النفسية قد عمد إلى الخمر، واتخذها وسيلة يعوض بها ما نقص فى نفسه وما يشعر به من الانكسار فى ذاته، فهو يشربها لأنها شراب الملوك العريق الذى عاش مع أجداده من القياصرة والأكاسرة وهو يستريح إلى شربها حيث لا فخار بالآباء والأجداد بين الندامى.

بل ربما يتضح هذا الاتجاه النفسي فى شىء جعله به النقاد صاحب مذهب فنى جديد، وداع من دعاة التعبير عن الذات والعصر، ومن ذلك جنونه المتسلط عليه أن يفتتح كل قصيدة بالخمر، وينعى على البدء بالطلول والرسوم ومن يذكرهما كقوله:

دع الأطلال تسفيها الجنوب ∴ وتبنى عهد جدتها الخطوب[1]

وقوله:

عد عن رسم وعن كثب ∴ واله عنه بابنة العنب

ولم يكن خافيا هذا الاتجاه بالانحاء على الطلل، والانحاء على الإعراب أو

(1) ديوان أبى نواس- برواية الصولى- تحقيق: د/بهجت الحديثى- ط هيئة أبو ظبى للثقافة- ط(١)- ٢٠١٠م- صـ٦٩.

بالمقابلة بين الخيام وايوان كسرى أو بين الدروب والميادين.

فهل دعوته إلى ترك الأطلال والبدء بالخمر دعوة تجديد كما يحاول البعض أن يقول؟

إن الناظر إلى شعر (أبى نواس) يرى منه أنه على الرغم من لومه فى البدء بها كان يبدأ بها هو كما جاء فى قوله:

لمن الديار تسربلت ببلاها ∴ نسيتك ربتها وما تنساما

(فالأطلال لا تهمه إذن إلا ليستطرد منها إلى عقدته والى التنفيس عنها بالخمر كلها برمت بمفاخر النسب من تميم ومن قيس ومن أسد... وليس الأعاريب جميعا عند الله من أحد)[1].

ولكننا نقول، ومن خلال المنهج النفسى الذى أخذ به العقاد شخصية (أبي نواس) ما الذى يمنعه أن يكون من دعاة التجديد بدعوته إلى ترك ما ليس يراه فى بيئة، والدعوة إلى ما هو منتزع منها.

ثم إن الرجل إذا كان قد اتجه إلى الأطلال بذكرها والوقوف عليها، فما ذلك إلا لرؤية نفسية فى أنه كان يريد التحريم لشىء دام واستمر فلا يمكن بتره وقطعه من أول الأمر، وإنما يدعو للجديد ويبيح القديم حتى تركن النفس إلى الجديد، وتدرك تلائمه مع البيئة وواقع الحياة التى يحبها.

ألم يكن هو مراعيا الحالة النفسية له وللآخرين؟

مراعيا فى دعوته إلى ما يستطيع الغير، وللآخرين إلى معرفة خبيئة نفوسهم

(1) أبو نواس – العقاد- ص١١٧ .

وأن من شب على شيء شاب عليه، فكيف يطلب منهم الإقلاع مرة واحدة إلا أن يكون الأمر تدريجيا.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد

فبعد أن وفقنا المولى- ﷻ- ووصلنا إلى خاتمة البحث، يجمل بنا أن نشير إلى أهم النقاط التى ظفرنا بها من خلال هذا البحث.

١) الترجمة لون من الألوان المحببة إلى نفس القارىء والباحث فهى أشهى كتب التاريخ إليهما، لما يجد فيها المرء من صورة نفسه.

٢) الحذر من أن تغرق السيرة القارئ في خيالٍ كاذبٍ من البطولة، والعظمة، لو أنه صور نفسه على صورة البطل وأراد أن يجاريه في أفعال وما يقوم به من بطولات.

٣) أهم ما يميز الترجمة هو تحديد الكاتب للحافز أو الموهبة فى حياة صاحب الترجمة، فهى التى جعلته محط النظر وموضع الدراسة.

٤) تردد ما زعم البعض من أن شهرة العقاد إلى اشتراكه فى حزب (الوفد) وخوضه غمار المعارك ضد خصومه فكان ملء السمع والبصر.

٥) المكانة الأدبية للأديب تأتى عن تعبير الأديب عن رغبة المتلقي وتأثيره فى نفسه والاستيلاء على مشاعره وحواسه، ثم تكون العوامل الخارجية فى المرتبة الثانية بعد المقدرة الأدبية.

٦) اتضح لنا أن عبقريات العقاد ليست سيرا بالمعنى التاريخي المألوف، وإنما هى صور تشخص الملكات والأخلاق، قصد بها رسم المزايا والخصائص الخلقية والنفسية والإنسانية.

٧) شخصيات العقاد الإسلامية سامية متكاملة، ولذلك فهو يبين مزاياها ثم المثالب

التى قد توجه إليها، فإن قام الدليل على صحتها، وإلا كان الرد المفحم الذى يلتمس فيه إسكات الخصم بالحجة والبرهان الساطع، والدليل الواضح.

٨) مما تنفرد به الشخصيات الأدبية عن الشخصيات الإسلامية، مجىء تلك التراجم على المنهج النفسى، واعتماد الكاتب عليه فى تحليل شخصية (أبى نواس) و (جميل بثينة) وكل ما عرض لهما من أعمال.

٩) من منهج العقاد فى تراجمه نجد محاولة أثراء العقل، والعمل على زيادة ذكائه، وقوة نمائه، ومقدرته على التفكير.

١٠) يدعو العقاد إلى منهج الاستقراء والتأمل فيما وراء الحدث ليدعو إلى تحريك العقل ليتبين قدرته على الحكم السليم فيما يعرض عليه من أشياء بالصحة أو البطلان أو بالرفض أو بالقبول.

هذا ... وإن كنت قد وفقت فى بحثى هذا، فلله الحمد والفضل والمنة، وإن كانت الأخرى، فسبحان من له الكمال وحده جعل النقص فى عباده دليلاً على وحدانيته. والحمد لله أولاً وآخراً .. وهو حسنا ونعم الوكيل.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: السنة النبوية.

١- أبو نواس "الحسن بن هانىء"- عباس العقاد- ط: دار الهلال .

٢- البداية والنهاية- ابن كثير- ط المعارف- بيروت- ١٩٩٣م.

٣- التحرير والتنوير- الطاهر بن عاشور- ط: الدار التونسية- تونس- ١٩٨٤م.

٤- التخاطر عن بعد والاستبصار "قوة العقل والإرادة" -غاى ليون بليفير- ترجمة: عيسى سمعان-ط:دار العلم سورية- ط(الأولى)١٩٩٠م .

٥- التراجم والسير- محمد عبد الغنى حسن- ط دار المعارف- ط(٣) ١٩٨٠م.

٦- تعدد الزوجات فى الإسلام، وحكمة التعدد فى أزواج النبى ﷺ : "دحض شبهات ورد مفتريات" تأليف عبد التواب هيكل. ط: دار القلم بيروت- ط (الأولى) ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

٧- جامع بيان العلم وفضله- يوسف بن عبد البر- تحقيق أبى الأشبال الزهيرى- ط دار ابن الجوزى.

٨- الجمال والحرية الشخصية الإنسانية فى أدب العقاد- د/نعمان أحمد فؤاد- ط: دار المعارف ١٩٨٣م .

٩- جميل بثينة- العقاد- سلسلة اقرأ- ط: دار المعارف- ط(السادسة) .

١٠-حكايات أوسكار وايلد- أوسكار وايلد- روايات عالمية للجيب (٤٤) ترجمة: د/أحمد خالد توفيق- ط المؤسسة العربية الحديثة.

١١-ديوان أبى نواس- برواية الصولى- تحقيق: د/بهجت الحديثى- ط هيئة أبو ظبى للثقافة ط(١) ٢٠١٠م.

١٢-ديوان أمير المؤمنين على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)- شرحه: د/عمر فاروق الطباع- ط دار الأرقم بن أبى الأرقم- لبنان.
١٣-ديوان جميل بثينة-ط : دار بيروت- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٤-ديوان العقاد- المجلد الأول- (يقظة الصباح)- ط: دار الكتب العصرية- بيروت- ١٩٧٢م
١٥-ديوان عمر بن أبى ربيعة- قدم له د/ فايز محمد –ط دار الكتاب العربى- ط (الثانية)- ١٩٩٦م .
١٦-زاد المعاد فى هدى خير العباد- ابن قيم الجوزية- تحقيق: شعيب الأرناؤط- عبد القادر الأرناؤط-ط مؤسسة الرسالة- بيروت- ط (الثالثة). ١٤٨١هـ/ ١٩٩٨م.
١٧-شرح ديوان رؤبة بن العجاج- لعالم لعوى قديم- تحقيق د/ضاحى عبد الباقى، مراجعة د/ محمود مكى ط مجمع اللغة العربية-ط (الأولى) . ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م
١٨-شرح نهج البلاغة- ابن أبى الحديد المدائن- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار الجيل- بيروت- ط الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
١٩-صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى- ط: دار ابن كثير- دمشق- ط الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٠-الصديقة بنت الصديق- عباس محمود العقاد- سلسلة اقرأ- ط دار المعارف- ط (الثالثة).
٢١-عبقرية الإمام- العقاد- ط: مؤسسة دار الشعب .
٢٢- عبقرية خالد- عباس محمود العقاد- ط٤ نهضة مصر ط(٨) ٢٠٠٥م.
٢٣-عبقرية الصديق- العقاد- مجلة كتاب الشعب- ط: مؤسسة دار الشعب.

٢٤-عبقرية عمر- عباس محمود العقاد - ط: دار نهضة مصر بالفجالة .
٢٥-عبقرية محمد- عباس محمود العقاد- مجلة كتاب الشعب- ط مؤسسة دار الشعب.
٢٦-معارك العقاد الأدبية- عامر العقاد- ط المكتبة العصرية- بيروت- فبراير ١٩٧١م .
٢٧-مع العقاد فى ظل العقيدة الوطنية- طاهر الجبلاوى- ط: مكتبة الأنجلو – ١٩٧١م .
٢٨-مع العقاد – د/شوقى ضيف- سلسلة (اقرأ) .- ط دار المعارف- ط (الخامسة) ١٩٦٤ م.
٢٩-منهج العقاد فى التراجم الأدبية- د/جابر قميحة- ط مكتبة النهضة- ط (الأولى) ١٩٨٠ م.
٣٠-منهج عمر بن الخطاب فى التشريع- دراسة مستوعبة لفقه عمر وتنظمياته- د/محمد بلتاجى- ط دار الفكر العربى.
٣١-لسان العرب- ابن منظور- ط: دار صادر- بيروت .
٣٢-النرجيسية- دار نفسية- د/ بيلاغرا بنرغر- ترجمة: وجيه أسعد- ط: منشورات دار الثقافة- مشق ٢٠٠٠م.

المجلات والدوريات

١- الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية- غزة- المجلد الثالث عشر- العدد (٢) ٢٠٠٥م.
٢- جامعة تكريت للعلوم الإنسانية- المجلد السادس عشر العدد (١٢) ٢٠١٢م.
٣- دراسات تربوية- بغداد- العدد السابع عشر – كانون الثانى ٢٠١٢ م.

٤- الرسالة- أحمد حسن الزيات- بتاريخ ١٩٥٠/٨/٢٨م .

٥- المصور "الكاتب والوسام" ٢٤ رمضان ١٣٩٧- ٧ سبتمبر ١٩٧٧م.